من هو يسوع المسيح ؟

WHO IS JESUS CHRIST?

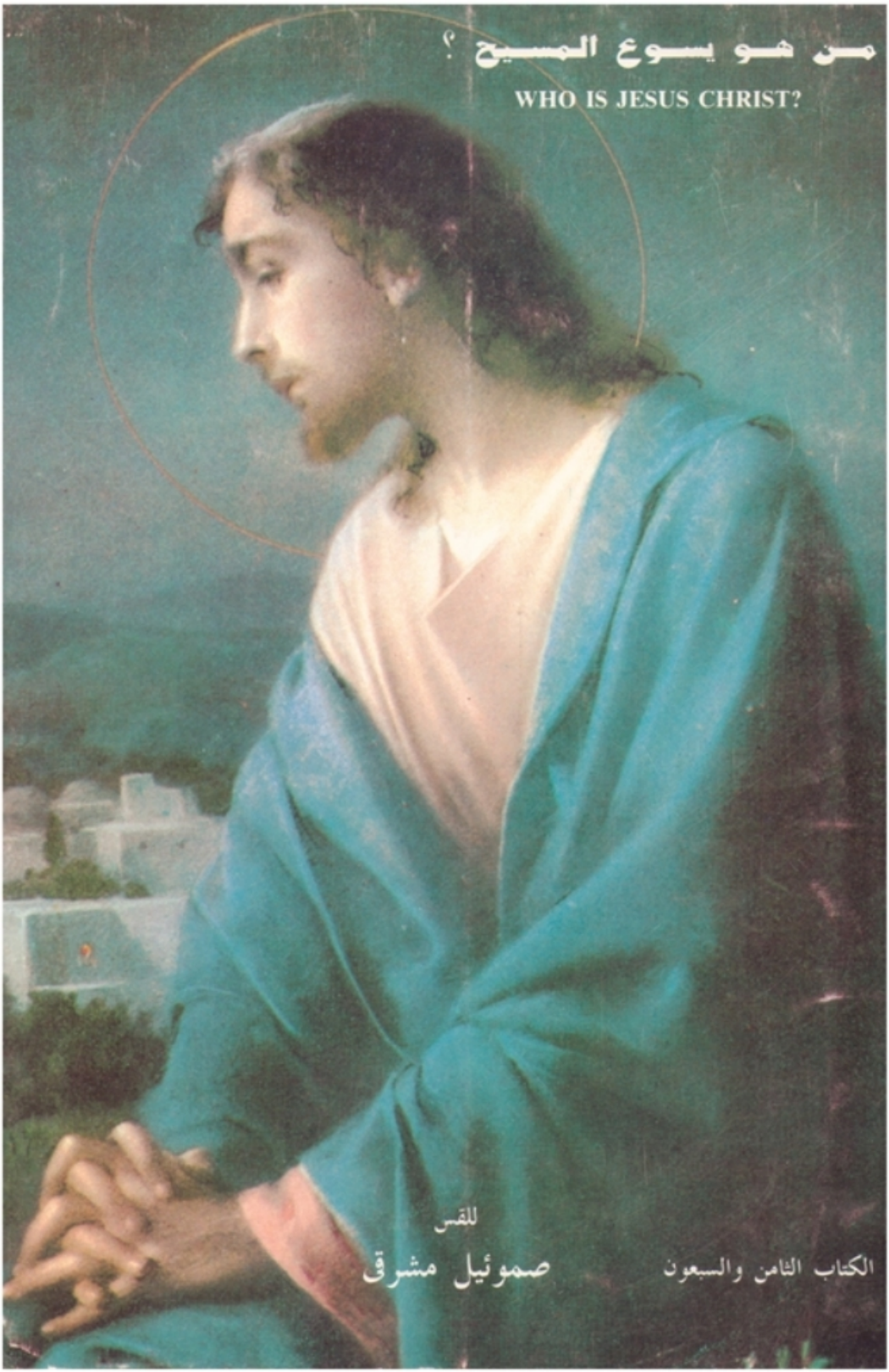

للقس

صموئيل مشرقي

الكتاب الثامن والسبعون

الكتاب الثامن والسبعون

من هو يسوع المسيح ؟

WHO IS JESUS CHRIST?

البحث الذى يتصدى لكل أنواع المجادلات التي يثيرها هذا الجيل
حول هذه الشخصية الفريدة

بقلم
القس صموئيل مشرق رزق

يناير ١٩٩٢

صدر عن الكنيسة المركزية لجمع الله الخمسينى
٨ ش أحمد باشا كمال — بجزيرة بدران شبرا مصر
تليفون : ٧٧٥٦٧٦

تقديـــم

فى الأسبوع الثانى من شهر أغسطس ١٩٩١ انعقد المؤتمر التعليمى اللاهوتى « الثلاثون » ببيت ايل بأبى قير بالاسكندرية ، وكان موضوعه :

« **من هو يسوع المسيح !؟** » واتخذ المؤتمر شعاراً له : « **إعرف مسيحك** » وكان هذا هو إرشاد الساعة ، إذ جاء فى وقت قد اشتدت فيه المناقشات حول « **يسوع المسيح** » بالذات أكثر من أى وقت مضى ، بل وقد برزت المقاومات العلنية حتى ظهرت على صفحات بعض الجرائد فى مصر !

وواضح أن شخصية « يسوع المسيح » ليست من الشخصيات التي يمكن تجاهلها ، لأنها ألمع شخصية فى تاريخ البشر ، لكن ما هو موضع الإستغراب حقاً ، ظهور مثل هذا الكم الهائل من النقد اللاذع والانتقاد المرير ليسوع المسيح وأتباعه وإزدياد المقاومات فى هذا الاتجاه حدة وشراسة ، ولن يقبل الادعاء بأن الباعث على ذلك أن اعتقاد المسيحيين فى يسوع المسيح باطل وفيه تجاوز أو أنهم لهذا السبب مشركون مأواهم النار وأن المقاومين مشفقين عليهم ولذلك يريدون تقويمهم بهذا الأسلوب الخارج عن كافة المبادئ القويمة والشرعية التى كفلت لكل إنسان حقوقه فى ظل الميثاق العالمى وتركت له حرية اختيار عقيدته ودينه وتحمل نتائج هذا الاختيار دون تدخل من أحد — وخاصة إن كان التدخل بالتشنيع والتهديد مخالفاً فى ذلك قاعدة : « أن لا إكراه فى الدين » ولا وصاية فى الأديان !

لكن هذا الموقف الأخير إنما يدل على حالة رفض غير طبيعى للإعلان الخاص بيسوع المسيح والذى يحتويه الكتاب المقدس ، وهذا الاتجاه إنما هو ازدراء بكل معانى الدين يدل على حالة من التشاؤم التام — الذى أصاب أهل النزمت وبلغ أقصى مداه — بسبب عجز العقل البشرى — بدون الإيمان — عن استيعاب هذا الإعلان الفائق عن يسوع المسيح ، **رغم أنه الحل الوحيد لمشكلة الشخصية ومفتاح فهم معنى الوجود الإنسانى نفسه وصمام أمن مستقبل الجنس البشرى أبدياً ...**

● ● ●

ومن ثم فإننا لا نقدم فى حلقات هذا البحث الحالية وما يليها آراء يدور حولها خلاف مصطنع — يظنه البعض مدعاة للتشاحن والاحتداد ، وإنما نحن فى مواجهة عقيدة مستقرة يعتنقها ملايين المسيحيين حول شخص : « **يسوع المسيح** » **وليس فيما بينهم أدنى اختلاف بشأنها ، بل هم بسبب الهراطقة الذين ظهروا قديماً وحديثاً يناوئونها نجدهم يبذلون أقصى الجهد فى استجلاء مكنوناتها**

والتعمق فى بحثها دون الأدعاء بإدراكهم لها والإحاطة بها لأنها بطبيعتها فوق طاقة العقل لا محالة ، وإنما نحن قد استقيناها من نبع الإعلان الإلهى الذى يتضمنه كتاب الله !!

وإننا نرى أنه من واجبنا الإلتزام بفحص هذا الإعلان الفائق وإستخراج معانيه الصحيحة . وذلك ليس مجرد الرد على هذه الهوجاء العشوائية الغير متبصره بل على أساس من النزاهة التامة التى تسعى وراء معرفة الحق لذاته . وهى تخضع أبحاثها لبينات المنهج العلمى الدقيق ، منهج الشرح الموضوعى البحت الذى يستهدف الوقوف على الحقيقة لوجه الله ... وهذه شهادة عالية لمن يريد الاقتناع ويطلب لنفسه الهدى والإنقاذ !!

المـــؤلف

الباب الأول
يسوع فى عالم الملائكة

الفصـــل الأول

الملاك الذى دُعى ملاك الرب

« فوجدها ملاك الرب على عين الماء (أى هاجر) فقال لها ملاك الرب أرجعى ... فدعت اسم الرب الذى تكلم معها أنت إيل رُئى » (تكوين ١٦)

« ونادى ملاك الرب ابراهيم ثانية من السماء وقال بذاتى أقسمت يقول الرب ... فدعى ابراهيم اسم ذلك الموضع « يهوه يرأه » أى الرب يُرى » (تكوين ٢٢)

« وأتى ملاك الرب وجلس تحت البطمة ... **فظهر له ملاك** الرب ... فالتفت إليه الرب وقال ... (قضاة ٦)

« فقال له ملاك الرب لماذا تسأل عن إسمى وهو عجيب » (قضاة ١٣)

● ● ●

• بدعة تكشف عن حقيقة :

دأب الكتاب المسيحيون فى الغالب على وصف المسيح بأنه « ليس ملاكاً من الملائكة » وذلك تمييزاً عنهم تمييزاً مضعفاً يستندون فيه بوجه خاص إلى الإصحاح الأول من رسالة العبرانيين الذى يحتوى على مقابلة بين ابن الله والملائكة بغرض منه أن ينفي أصلاً قبل تجسده أن يكون ملاكاً من الملائكة ...

ولكن كونه ليس ملاكاً من الملائكة **لا يتفق مع وصفه « بالملاك » قبل تجسده وهو فى عالم الملائكة** ... وإزاء هذا المضمون الناقص من جانب هؤلاء المفسرين المسيحيين ـ لعدم شموله الحقيقة من كافة الجوانب كما ينبغى ... تقدم شهود يهوه بأوفى ضلالاتهم عن المسيح ، بادعائهم بأنه مادام المسيح قد دعى ملاكاً ، فإنه يكون بذلك مجرد ملاك ليس إلا ـ ونقتبس من أقوالهم بهذا الصدد ما يأتى :ـ

« يعلن الكتاب المقدس أن يسوع فى وجوده السابق لبشريته كان كائناً روحانياً مخلوقاً ، **تماماً كما كانت الملائكة** ... »

« فإلى جانب الله وبالمقارنة مع الله يظهر فعلاً كائناً سماوياً آخر أيضاً فى بلاط الله السماوى ، **تماماً كما كانت الملائكة** ... »

وكذلك قولهم : « إن معنى تجربة يسوع إنها امتحان للولاء لأنه كان فرداً له شخصية منفصلة عن شخص الله بإرادة حرة خاصة ، فرداً يمكن أن يكون عديم الولاء إذا اختار ذلك **كملاك أو إنسان ، غاية ما فى الأمر أنهم يعتبرونه فى منزلة أرفع من جميع الملائكة باعتباره فى نظرهم أول خليقة روحانية لله !!** »

ورداً على هذه الضلالة نجاوب هؤلاء المراطقة بالآتى :ـــ

أولاً : إذا كان المسيح مجرد ملاك من الملائكة المخلوقين ـــ فلماذا تفرد بالتعريف التحديدى « الملاك » والاضافة المميّزة « ملاك الرب » !؟

وللإجابة على هذا التساؤل نجد حقائق عديدة فى هذا المجال نقدمها للكافة ونعلنها فيما يلى فنقول :

أ ـــ إن هذا التحديد التميزى لا يسمح بإدخال المسيح فى دائرة الملائكة المخلوقين بتاتاً :

فقد وردت كلمة « ملاك » فى صيغة المفرد فى الكتاب المقدس ٨٥ مرة ، وفى صيغة الجمع « ملائكة » ٧٠ مرة ، وفى صيغة الجمع المنسوب لله « ملائكة الله » ١٠ مرات ، أما كلمة « الملاك » فى معناها المخصص للمسيح فقد وردت ٥ مرات ، وكذلك « ملاك الرب » فقد وردت هذه العبارة ٣٣ مرة !

وعند فحص هذه المواضيع وقرائنها نرى أن الافتراض **بأن هذه التجليات الإلهية ـــ التى ظهر فيها المسيح وتسمى « الملاك » و « ملاك الرب » ـــ هى مجرد ظهورات ملائكية أمر غير مقبول** ، لأنه فى كل مرة ظهر أحد هؤلاء الملائكة للبشر لم يخف الكتاب الحقيقة بل دعاهم بالاسم أو حددهم بالعمل أو المهمة التى يقومون بها ، ففى كل مرة كان ملاك ما يظهر تضمنت القرينة كونه من الملائكة المخلوقين ـــ وحتى لو خوطب « بـالملاك » أى « معرّفاً » فإنما لتحديد الاختصاص الذى يقوم به ـــ مثال ذلك الحديث الوارد فى سفر الجامعة والذى يصف الملاك الحارس « بالملاك » فى القول : « لا تقل قدام الملاك سهو » ، فهو يخاطب هنا « بأل » التعريف لتخصصه بالحراسة والتسجيل ، كما وصف الكتاب الملاك القائم بالإهلاك « بالملاك المهلك » وكذلك القائم بالانقاذ كما فى حالة إخراج بطرس من السجن ... إلخ .

أما المسيح فإن أمره يختلف إذ لا يمكن أن يكون ملاكاً مخلوقاً لأن هذا الملاك الفريد معّرف بأل لا لمجرد التشريف أى أنه أشرف الملائكة وأقربهم لله ، لأن إضافته « للرب » تؤكد تميزه وتفرده إذ هو بذلك الملاك الوحيد الوارد ذكره فى الكتاب المقدس بهذا الوصف الذى ينفى عنه كونه ملاكاً عادياً ولا حتى ملاكاً ممتازاً من الملائكة المقربين فى بلاط الله السماوى كما يزعمون حتى لو قالوا عنه أن هذا الكائن السماوى الآخر قد ظهر إلى جانب الله إذ أن عبارتهم هذه هى بلا معنى ماداموا يعتبرونه ملاكـاً مخلوقاً ـــ إذ أنه يكون بذلك لا ظهور له بجانب الله حسبما ذهبوا إليه ! إذ كيف يتسنى لأى مخلوق أياً مَن كان أن يكون له مثل هذه القربى والظهور ، ولذلك فإننا لم نجد أحداً من الملائكة دعى فى الكتاب المقدس إلهاً أو رباً ، وإنما دعوا ملائكة كما يسهل البرهان على ذلك بشهادات لا حصر لها ، أما هو « يسوع المسيح » فهو إن كان قد ظهر أحياناً فى شكل ملاك ولكن ذلك إنما هو

صورة أو شبه مما هو داخل فى تجليات الذات الإلهية ــ التى سنعرض لها فيما بعد ــ وهذا يهدم هرطقة شهود يهوه من أساسها بأن المسيح مجرد ملاك مخلوق أو كائناً روحانياً كتعبير مرادف يحاولون به تخفيف ضلالتهم وهيهات لأنهم قد عبثوا بالقرائن وناقضوا التفسير الصحيح المستمد من المعنى التام لآيات الكتاب المقدس الأمر الذى يزعمون باطلاً أنه مذهبهم فى التفسير وهم يخالفونه بأساليبهم الملتوية الماكرة تماماً !!

ب ــ أفادت القرائن الكتابية فى مواضع كثيرة بأن هذا الملاك ــ الذى هو المسيح ــ هو الرب :

ففى قصة هاجر مثلاً أثناء هروبها فى البرية يذكر الوحى أن « ملاك الرب » وجدها وتحادث معها ثلاث مرات وفى أعقابها تقرأ « فدعت اسم الرب الذى تكلم معها « أنت إيل رُئى » مؤكدة بذلك أن ملاك الرب هذا الذى تقابل معها هو « الرب » ودعته باسم « أنت إيل رئى » ــ وإيل هى مفرد الوهيم العبرية المترجمة فى العربية « الله » . وفيما نطقت به هاجر هنا إقرار بأن الملاك الذى ظهر لها هو « الإله » ولذلك فقد خاطبته بالقول : « أنت الإله الذى رأيته » وتحدها بذلك فى طريق الإعلان المتدرج المتكامل عن « الإله الذى تتجلى رؤيته » ...(تكوين ١٦)

و « ملاك الرب » هذا بعينه هو الذى نادى ابراهيم أن لا يذبح ابنه اسحق وأراه الكبش الذى يصعده عوضاً عنه وهو الذى ناداه ثانية من السماء وقال له : « بذاتى أقسمت يقول الرب ــ إنى أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً ... فدعا إبراهيم إسم ذلك الموضع يهوه يرأه » أى « الرب يُرى » (تكوين ٢٢)

وفى كلا هذين الموضعين نجد أن ملاك الرب هو الرب وهو بعينه يهوه ــ وهذه كلها معاً مسميات تنطبق على يسوع المسيح مثبتة أنه يهوه ــ فماذا عسى أن يقول شهود يهوه الكذبة فى بذلهم كل الجهد للفصل بين يسوع ويهوه وبأن يسوع هذا له فردية شخصية منفصلة عن شخص الله وذلك إمعاناً منهم فى الحط من كرامة المسيح وإنكار لاهوته بتحديهم السافر لهذه القرائن الكتابية الثابتة !

هذا وقد جاء أيضاً فى سفر القضاة (أ ص ٦) كيف أتى ملاك الرب هذا وجلس تحت البطمة وظهر لجدعون ودعاه لمهمته فى إنقاذ الشعب وهو نفسه الرب (يهوه) لأن الوحى يقول عنه بعد ذلك : « فالتفت إليه الرب ... ثم قال له الرب إنى أكون معك » ! كما ورد ذكر « ملاك الرب » ثمانى مرات فى قضاة ١٣ ولما سأله منوح عن إسمه أجاب : « لماذا تسأل عن إسمى وهو عجيب ؟ »

وحقاً إنه لعجيب لأننا قد وجدنا اسم هذا « الملاك » منسوباً للرب مما جعله « ملاك الرب » ثم وجدنا اسم

« ملاك الرب » مرادفاً لاسم « الرب » !

• • •

وأما فى أمر ظهوره لموسى فإننا نشاهد هذه الحقيقة ساطعة بنور عجيب إذ جاء فى النصوص الكتابية عنه الواردة فى خروج ٣ « فظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط العليقة ...

فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة ثم قال له أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب . فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله ... »
والمتكلم هنا يعلن عن نفسه أنه ملاك الرب والرب والله نفسه !

ونفهم من زكريا ١ : ١١ أن « ملاك الرب » هذا هو المشرف على السياسة العليا التى تسيطر على كل أحوال الأرض وتدير شئونها ، حيث تسمى فى هذا الموضع « بالملاك » و « ملاك الرب » وهو ظاهر فى صورة رجل واقف بين الآس ليتلقى تقارير الدورات الملائكية التى تجوب الأرض للسيطرة والأمان !!

• • •

جـ ــ إن ظهور المسيح فى شكل ملاك هو قمة التجليات الإلهية السابقة للتجسد الإلهى :

هناك إجماع بأن الإله لا بد أن يتجلى والتسليم بذلك فى اعتقاد اخناتون بأن مظهر تجليه كان نور الشمس ، وكذلك ظهوره لموسى على جبل سيناء فى نور النار أو ضياءها خلف ستار الدخان !

وهنا نرى ضرورة اجتماع التنزيه والتشبيه فى الألوهية وهو ما يعرف بالبطون والظهور أو الاستتار والتجلى والكتاب المقدس يعلن اجتماع هذين النقيضين فيه :

لأنه من جهة التنزيه ، فإن وجوده خفاءٌ لا يتجلى لغير ذاته قط ، ــ وهذا هو المستأثر الذى ينفرد به فليس للخلق فيه نصيب البته ! لكنه كان لا بد أن يتجلى للخلق فى صور استعلانات تمهيدية لظهوره فى هيئة إنسان وذلك حتى لا تستحيل رؤيته وليكون لسلطانه الشمول على الخليقة كلها ...

لذلك فقد أقرت الصوفية إمكانية ظهور الله ــ لا نظرياً بل واقعياً ــ وأنه كما نعطيه حقه من التنزيه فكذلك نعطه حقه من التشبيه لأن صور الخلائق قديمة فيه حتى لا يدخل عليه ما هو محدث وهو يختار من صور الجمال ما يليق بظهوره واستعلانه حتى أن البغدادى يبين بأن الله أمر إبليس بالسجود لآدم لأنه تجسد فيه ويستطرد إلى القول أن الله يتجسد فى الأشخاص ذوى الجمال !

والكتاب المقدس يقدم لنا يسوع المسيح كالشخص الوحيد الكفؤ لإعلان الله للخليقة ، وأما المسيح الآريوسى

الذى صمم شهود يهوه استبدال المسيح الحقيقى به ، وهو أشبه بنصف إله وله امتيازات خارقة فإنه لكونه فى نظرهم مخلوقاً فإن ذلك لا يجعله كفئاً لإظهار الله إظهاراً صحيحاً صادقاً ...

ومن وجه آخر قد وجدنا أن التجريد المطلق الذى يتناقض مع التجليات الإلهية يجعل من الله تعالى لغزاً غير مفهوم ...

أما استعلانات تجليه سواء كانت فى صورة ريح أو زلزلة أو نار أو سحاب وضباب أو عقل السى أو الورق والرقوق فإنما هى تجليات وقتية متنوعة لحين ظهوره فى جسد بشرى معصوم ! الأمر الذى بلغ حده فى الصورة التجسدية التى ظهر فيها اللاهوت وهذا ما ينكره شهود يهوه وأمثالهم ممن يتجاهلون عمداً حقيقة هذا التحنن الإلهى الفائق الذى تمسكت به المسيحية فجمعت بينه وبين التنزيه فى عقيدتها الفريدة النوع !!

• • •

وإننا إزاء مظاهر التجلى الإلهى هذه لا نستغرب مطلقاً من ظهورالمسيح فى شكل ملاك تسمى « الملاك » ودعى « ملاك الرب » تمييزه عن سائر الملائكة الآخرين ... وظهوره فى شكل « ملاك » وهو أسمى مظاهر الاستعلان السابقة للتجسد ، لم يجعل منه « ملاكاً » ، لأنه أخذ شكل الملاك دون اتحاد ذاتى بالملائكة ولا بغيرهم ، لأنه استبقى بمقتضى حكمته هذا الاتحاد الذاتى لحين تجسده ، فاتحد بجنس البشر اتحاداً ذاتياً هو الذى ظهر فى اتحاد اللاهوت بالناسوت !!

• • •

ويكفى أن هذه التجليات بما فيها أخذه شكل ملاك هى نقطة البداية فى ظهوره لخليقته وربطها بشخصه بما فى ذلك الملائكة والبشر وإلا كانت الخليقة بيننا وبين الملائكة مفقودة !!

• لماذا ظهر المسيح فى شكل ملاك !؟

لا شك أن هناك أسباباً منطقية ومعقولة لظهور المسيح فى شكل ملاك أبرزها ما يأتى :

أولاً : وجود صور جميع الكائنات بما فى ذلك الملائكة فى المسيح من قبل خلقها ــ كان لابد من وجود صور جميع المخلوقات فى المسيح أزلاً وذلك لاستحالة إدخالها كمحدثات على علمه الأزلى ، ولذلك فإن جميع الكائنات تمثلت فيه ، فهو بالنسبة للوجود « رئيس الحياة » وبالنسبة للنور « النور الحقيقى » وبالنسبة للشموس « شمس البر » وللكواكب هو « كوكب الصبح المنير » ــ وبالنسبة للصخور هو « صخر الدهور » ، وللأحجار هو « حجر الزاوية » ، وبالنسبة للأشجار هو « شجرة الحياة » و « التفاح » و « السوسنة » أعظم من هيكل سليمان ــ مشتهى الأمم ــ الأبرع جمالاً ، أسد يهوذا ، جمل الله ، ملك الملوك ، الأب الأبدى ، الابن الوحيد ، المعلم الفريد ، الطبيب الشافى ، الراعى الصالح ، المحب الملتصق ، الألف والياء الأول والآخر ... الخ .

ولذلك قررت الفلسفة اليونانية أن الكلمة « لوغوس » هو العقل الإلهى وهو مصدر انبثاق جميع الكائنات فهى منه وبه إذ هو الأصل

الوجودى لها ، ولذلك فهو عين بقائها فى هذا الوجود الظاهر ... !

فإن قيل لماذا لا بد أن تكون صور الكائنات حاضرة مصوَّرة فيه بما هى عليه وما يطرأ عليها بما فى ذلك مصائرها النهائية ؟ **فجوابنا هو لأن علم الله أزلى وهو لا يقبل طروء الحدوث عليه باكتساب معرفة الكائنات عند وجودها . لأن هذا خلط بين الأزلى والحادث . فضلاً عن أنه إذا لم يكن للكائنات أصلها الوجودى فى الله فمن ثم لا يكون لها ، وجود أما فى اعتبار وجود صورها فى المسيح فإنها تكون متمثلة فيه وهو « مثلها الأعلى » بالإطلاق . ومن ثم كان لا بد من أن تتمثل الملائكة فيه** باعتبارهم الكائنات التى خلقها قبل أن يخلق البشر !

ثانياً : لأن الملائكة جزء هام من خليقة الله ومن ثم وجب أن يظهر المسيح فى شكلهم : لضرورة ارتباطه بهذه الأرواح المخلوقة السامية . وأما ما قيل عن المسيح من أنه حقاً لم يمسك الملائكة بل نسل ابراهيم . فالمقصود به هنا الملائكة الساقطين ، وأما نسل ابراهيم الذى أمسك المسيح به فهم المؤمنون به من نسل آدم ، أمسك بهم ليقدمهم !

ثالثاً : لأن هناك أشياء عديدة يشترك فيها البشر والملائكة :

فهم يشتركون فى شكل القيام والصفات الأدبية كالعقل والإرادة ، وإن كان الملائكة بريئين من الجسد المادى والموت ، وليس لهم علاقة بالزواج ، ولكننا نعلم أيضاً أن القديسين فى القيامة الأولى سيكونون مثل الملائكة فى عدم الزواج وعدم الخضوع للموت عند تغيير أجسادهم .

رابعاً : لأن الملائكة هم أخوة المفديين :

ومع أن بنوتهم لله بالطبيعة بخلاف بنوة المفديين التى هى بالنعمة ، لكن ها هو الملاك الذى ظهر ليوحنا فإنه يمنعه عن السجود له قائلاً : « **انظر لا تفعل . أنا عبد معك ومع إخوتك الذين عندهم شهادة يسوع . أسجد لله** . (رؤيا ١٩ : ١٠)

يتضح من ذلك أنه من حيل الشيطان وأضاليله أن يخفى هذه الحقائق ، لكى يفك الرباط الذى يجمع المفديين من البشر بالملائكة المختارين فى محفل جبل صهيون السماوى الذى يضم الملائكة مع كنيسة الأبكار

(عبرانيين ١٢)

الفصـــل الثـــانى

المـلاك حامـل اسـم الله

« ها أنا أرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك فى الطريق وليجىء بك إلى المكان الذى أعددته . إحترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن إسمى فيه ، ولكن إن كنت تسمع لصوته وفعلت كل ما أتكلم به أعادى أعدائك وأضايق مضايقيك فإن ملاكى يسير أمامك » (خروج ٢٣ : ٢٠-٢٣)

● ● ●

• مـلاك فريـد النـوع :

عرفنا من الحلقة السابقة أن كلمة « ملاك » هى أيضاً من أسماء المسيح ، بل إنها أعظم تجلياته فى العهد القديم ، ولكننا إذ نتابع التأمل فيه لا نجد ملاكاً عادياً بل « الملاك » الذى ينسب الله لنفسه فيقول عنه « ملاكى » ويجعله قائداً لشعب كما فى النصوص التى أمامنا معلناً بأن إسمه فيه !!

إنه الملاك الذى يظهر فى المواقف الحرجة للإنقاذ : ليس هو ملاكاً مخلوقاً — أو كائناً روحانياً هو أول الخلائق بحسب مزاعم شهود يهوه الآثمة — **وإنما هو ملاك الله ، ملاك العهد وهو الذى اختص بالظهور من قبل إلى وقت ظهوره فى الجسد ... إنه يسوع المسيح نفسه لا غير : لأنه هو صانع الخلاص وحده ، خلاصه كامل ولذلك فهو مخلّصنا من كل وجه !!**

● ● ●

وعلى هذا النحو فقد دعا يعقوب هذا الملاك «الله» بقوله الوارد فى تكوين ٤٨ : ١٥ و ١٦ ونصه : « الله الذى رعانى منذ وجودى إلى هذا اليوم . الملاك الذى خلصنى من كل شر ... » يؤكد ذلك أيضاً ما جاء عنه فى سفر هوشع ١٢ : ٣ و ٤ ونصه :

« بقوته (أى يعقوب) جاهد مع الله . جاهد مع الملاك وغلب » ! كما جاء مضافاً إلى إسم الجلالة « الله » فى حادثة خروج الشعب من أرض مصر واجتيازهم البحر الأحمر ، وبعد أن يوصف هنا بملاك الله يعود الوحى فيصفه بالرب وقد جاء النص عن ذلك فى خروج ١٤ : ١٩ و ٢٤ فى القول : « فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر اسرائيل وسار وراءهم ... وكان فى هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين ... وخلع بكر مركباتهم » ويصف موسى هذه الحادثة فى سفر العدد ٢٠ : ١٦ بقوله : « فصرخنا إلى الرب فسمع صوتنا وأرسل ملاكاً وأخرجنا من مصر — فمن ترى يكون هذا الملاك إلا هذا الذى يقول عنه الله هنا « ملاكى » وأيضاً « لأن إسمى فيه » ! ولاشك أن هذه الإضافة هى

للتخصيص والتمييز ـــ وحتى لو كانت للتشريف فلماذا يختص هذا الملاك به دون سواه ـــ فأى ملاك هذا هو الذى يضع الله سبحانه إسمه فيه ، ومن المعلوم أن ما لله لن يكون لغيره بما فى ذلك إسمه « إسم الجلالة » فكيف يمكن أن يحمل إسم الله سواه أياً يكون إذ أن المخلوق لا يتسنى له أن يحمل اسم الخالق بأى حال من الأحوال !!

• • •

فإذا أردنا الوقوف على حقيقة هذا الملاك فريد النوع بما له من صفات خارقة لها تأثيرها البعيد المدى لكونها لن تكون وصفاً لمخلوق ما ، فإننا نجدها لا تنطبق إلا على الرب يسوع المسيح : **لأن هذا الكلام الذى يتحدث به الله نفسه لموسى يكشف عن علاقته تعالى بشعبه عن طريق هذه الشخصية الفريدة المتميزة ! ومن حقنا أن نتساءل : تُرى أى نوع من العلاقة هذه التى تقدمه لنا فى صورة ملاك لكنه ملاك فريد النوع** ـــ حاولت نبية السبتيين أن تخلطه بالصخرة التى تابعت الشعب القديم فى البرية ، ولكن هذا الخلط مرفوض لأن الصخرة تابعتهم أما هذا الملاك فكان يتقدمهم ، ولأن الصخرة وإن كان قد قيل عنها أنها المسيح إذ هى رمز له ـــ لكنها ليست هى الملاك الذى رافق موسى فى قيادة الشعب : نقول ذلك لكى نقف فى طريق تفسيرهم الملتوى الذى يعتبر المسيح مجرد ملاك كسائر الملائكة المخلوقين !

• • •

أما وصف المسيح هنا بأنه « ملاك » ، فلا يفهم منه أنه كذلك بحصر اللفظ ، ولا أنه إتحد بالملائكة إتحاداً ذاتياً ـــ كما فعل عند اتحاده بالبشر عن طريق الناسوت الظاهر ـــ بل لتبيان أن للملائكة علاقة به بطبيعة وجودهم الروحانى ، وبالإضافة فإن لفظة « ملاك » تعنى « رسول » وهو فى هذا المعنى رسول الحضرة الإلهية : فهو الذى ظهر لإبراهيم ومعه ملاكان رفيعى الرتبة وانفرد إبراهيم بمخاطبته كالمولى وديان كل الأرض وكان ظهورهم فى شكل ثلاثة رجال . ويقول النص : « وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم . وأما إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب » .
(تك ١٨ : ٢٠)
وفى نص تابع نجد القول : « فجاء الملاكان إلى سدوم مساءً » (تك ١٩ : ١)

وهو الذى ظهر لمنوح فى شكل رجل الله وطلعته مهيبة ، وهو « ملاك الله » قالت عنه امرأة منوح أن منظره مرهب جداً ، وبعد انتهاء المقابلة قال منوح لامرأته عنه : « قد رأينا الله »
(قضاة ١٣)

• • •

• ملاك ينسبه الله لنفسه :

هنا تتجمع حقائق مذهلة إذ يتحدث الله عن هذا الملاك بالقول « ملاكى » و « إسمى فيه » ـــ وحقاً لا يوجد فى الكون كله شخص آخر يقول عنه الله أقوالاً كهذه ، مما يدل على أنه بلا مثيل وليس من يشبهه فليس له نظير قيل عنه ذلك ـــ ومع أن هناك بعض الأسماء أدخل البشر عليها إسم « الله » تيمناً واستبشاراً مثل : « عطا الله ، ورزق الله ومكرم الله إلخ ولكن مجرد هذا الالحاق لا يجعل تلك الأسماء إلهية أو أن لها انتساباً خاصاً متميزاً مثل ما لهذا المبارك الذى

يقول عنه الله نفسه « ملاكي » و« لأن « إسمي فيه » !! وهو تعريف آخر عجيب يعني أن إسم الله فيه . والإسم يدل على الوجود الشخصي . **فلما يقول الله « إسمي فيه » فهو يعني بذلك : « إنني أنا موجود فيه »** ...

لأن موسى التقى بهذا الملاك في العليقة . وعلم موسى أن هذا الملاك الذي تكلم معه في العليقة لم يكن سوى الله نفسه وأكد الوحي ذلك بالقول : « ونادى الله موسى من وسط العليقة ... فخاف موسى من أن ينظر إلى الله وغطى وجهه — فلو كانت مسألة مجرد رؤية نار وملاك غير منظور في وسطها يكلمه لما وصل الحال بموسى إلى ما سبق ذكره . الأمر الذي فرض نفسه على غير المسيحيين فاضطرهم ذلك إلى التسليم بما جاء في التوراة من أن الله قد ظهر في نار العليقة ونادى موسى بالقول له « أنا ربك » . ولم يكن هذا الإله سوى هذا الملاك « حامل إسم الله » الذي يقول عنه سبحانه « إن إسمي فيه » ! ومن المعلوم أن جواهر المخلوقات لا يمكن أن تتحد بالجوهر الإلهي غير المخلوق مما يجعل شخصية هذا الملاك متميزة عن الملائكة ويشير إلى وجودها في اللاهوت العظيم وجوداً ذاتياً حقيقياً وليس كوجود المخلوقات في العلم الإلهي المسبق إذ هي مع ذلك في نطاق العدم قبل وجودها ...

• • •

نعم قد وصف الأنبياء بأن كل منهم « نبي الله » . كما وصف موسى بأنه « كليم الله » . ولكن لم يوجد أحد غير هذا الملاك حمل إسم الله ووصف بأن الله فيه . لأن هذا شيء آخر لا يجوز أن ينسب لمخلوق ما . ولكننا نشاهده وارداً كوصف ليسوع المسيح في مواضع عدة يتجاهلها المضلون ويتحاشون ذكرها من ضمنها ما جاء في مزمور — ٤٥ — « كرسيك يا الله إلى دهر الدهور ... » ويطبقه كاتب رسالة العبرانيين عن الابن في (١ : ٨) ويتحدث العهد الجديد عن « كنيسة الله التي اقتناها بدمه » (أع ٢٠ : ٢٨) — ومن الذي سفك الدم ليقتني الكنيسة !؟ أليس هو الرب يسوع المسيح حامل إسم الله هذا !؟ كما جاء في العهد الجديد أيضاً عنه أنه هو « الله مخلصنا » و« الله الذي ظهر في الجسد » وأيضاً « وكان الكلمة الله » و « الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد » .

وهكذا إستخدم الوحي إسم الجلالة « الله » الأمر الذي بمقتضاه أصبح ملاك الله — حامل إسم الله — هنا . هو ملاك الرب المرادف إسمه هذا مع إسم « الرب » . فهل الرب درجة أقل من الله أم هو نفسه المكتوب عنه « الرب الإله » و « الرب الله » أي « يهوه » الذي يقوم شهود يهوه بإنكاره . رغم اعتراف داود به رباً — وهم يتحاشون هذا الاعتراف ويحذفونه من كتاباتهم . وكذلك قول داود عنه : « وإعلموا أن الرب هو الله » (مزمور ١٠٠ : ٣) . ولم يكن هناك داع لهذا التبيان لأن هذا معلوم من طبيعته . ولكن إذا كان الرب المقصود هنا هو يسوع المسيح الإنسان المنظور كان للبيان معناه الذي معه لا يمكن أن يكون يسوع شيئاً آخر أقل من الله أو غير الله — مما يثبت بأن المسيح ليس هو مجرد ملاك ولا شبيه لله أو إنسان إلهي (**كما يصفه بعضهم**) بل هو الذات الإلهية نفسها حالة وظاهرة فيه . مما لا يكون معه أمراً مستغرباً أن يحمل هذا المسيح المبارك إسم الله !!

• • •

• شخصية متميزة حملت الأوصاف الإلهية :

فكما قيل عن يهوه قديماً أن معنى إسمه هذا « الذى له الكينونة الدائمة » هكذا نجد الرب يسوع ينطق بما يفيد هذا المعنى عينه بقوله : « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » (يو ٥٨:٨) وهنا يتبرى شهود يهوه للادعاء بأن يسوع « يقصد أن يكون تعبيره هذا متفق تماماً مع تعبير خروج ١٤:٣ فهو لم يستعمله على حد قولهم كإسم أو لقب بل كوسيلة لإيضاح وجوده السابق لبشريته ... ولكن حتى الترجمات التى يقتبسونها لمساندة ادعائهم هذا لا تؤيدهم فيما ذهبوا إليه فهى تقول حسبما دونوه : « من قبل أن يكون إبراهيم كنت أنا » و « كنت موجوداً قبل أن يولد إبراهيم الذى أنا هو » و « قبل أن يأتى إبراهيم إلى الوجود كنت أنا » ! ومن المعلوم أن عبارة : « أنا هو » تنفى أى تقسيم زمنى فقد اعتبرت مترادفة مع الوجود المطلق الذى ينفى تحديده بزمن وهى تساوى « يهوه » فى معناها المشتقة من « أهيه » ومعناها « أكون ما أكون » — وهذا يشمل أشكال من الكينونة ظهرت فى هذه الشخصية المتميزة ... وقمة هذه الأوصاف نجده فى أن ما قيل عن « يهوه » قديماً قوله فى وصف نفسه فى أشعياء « أنا هو الأول والآخر » وهذه هى نفس الكلمات التى يصف بها المسيح نفسه فى فاتحة سفر الرؤيا وهو ما يتحاشى ذكره شهود يهوه لأنه يقوض عقيدتهم الباطلة من أركانها — وكذلك قوله الوارد فى أشعياء ٤٨ :١٦ « منذ وجوده (أى وجود الله) أنا هناك وواضح أن قول أشعياء هذا قاطع بأزلية هذه الشخصية المتميزة إذ لا يمكن تصور وقت أو أوان لم تكن موجودة فيه !!

• إنذار وتحذير :

رأينا أن مجرد إلحاق إسم « الله » لأى إسم بشرى أياً يكون لا يجعله إلهياً أو يجعل من هذا الإلحاق انتساباً خاصاً مثلما رأيناه فى هذا الملاك المبارك « حامل إسم الله » :

فإن إسم الله الذى فيه إنما يمتد فى الواقع إلى إعلان تجليه وحضوره الخاص الذى به يتميز هذا الكائن الجليل عن الجميع بوجه مطلق — فإن عبارة « إسمى فيه » الضمير راجع فيها إلى الله والملاك أى أن إسم « الله » فى هذا الملاك — وهذا لم يحدث قط لأى كائن آخر غيره سواء كان ملاكاً أو إنساناً — مما جعل الوحى يدعوه بالرب « يهوه » وبالله أيضاً ... وهو لذلك لن يكون ملاكاً مخلوقاً فإن إسم الله فيه يدل على أن الله جوهرياً وتوافقياً فيه حتى أنه قد نسب إليه السلطان فى أن يغفر أو يعاقب — وهو سلطان الله نفسه — ومع أنه خاص بالله وحده فإنه قد أُعطى لهذا الكائن لأن الله فيه — إنه هو المبعوث المرسل من الله ليمشى أمام شعبه أى أن فيه تتمثل قيادة إلهية محسوسة ، ليحفظك فى الطريق الذى يختاره لك وليجىء بك إلى المكان الذى أعده لك الله ... والله يحذر هنا قائلاً : « احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه لأن صوتى فيه ، أنا أتكلم به » . ومما يؤكد أن هذا الملاك كائن إلهى صرف قوله عنه « أنه لا يصفح عن ذنوبكم » . فكم من مصائب حدثت وتحدث نتيجة مخالفته كنوع من العقاب ، فى حين أنك إن سمعت لصوته فإن الله يعادى أعداءك ويضايق مضايقيك « وهذا هو سر الانتصار !

الفصل الثالث

ملاك حضرته ــ ملاك العهد

« فى كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلّصهم ...
(أش ٦٣:٩)
« ويأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه وملاك العهد الذى
تسرون به هوذا يأتى » (ملا ٣:١)

● ● ●

• **الحاجة إلى وسيط :**

جاء فى سفر أيوب اصحاح ٣٣:٢٣-٢٥ القول : إن وجد عنده (أى عند الله) مرسل وسيط واحد من ألف يترافع عليه (أى على الإنسان) ... ويصل إلى الله فيرضى عنه ويعاين وجهه بهتاف . »

هذه الكلمات تكشف عن ضعف الإنسان ، والملاك أيضاً مع أنه أكثر قوة منه لكونه روحاً مجردة لها قدرة الطيران التى لا يتمتع بها الإنسان حالياً ونظراً لمحدودية الخلائق فإنها ليس فيها كفاية ذاتية حتى وإن حاولت أن تساند بعضها بعضاً ...

ويقول علماء مقارنة الأديان أن الأصل فى الاعتقاد بوجود « إله » هو ضعف الإنسان وحاجته إلى سند قوى يلجأ إليه ويستعين به .

ولذلك كان أول إسم للإله فى اليهودية « أيل » مفرد الوهيم ومعناه « القوى » . وقد سمى أيضاً « شداى » بمعنى القدير . ولكن من أين تنشأ علاقة ما بين الإنسان والإله ؟؟

هنا ظهرت معضلة أجهدت الفلاسفة فى حلها دون جدوى لأنهم عجزوا عن إجابة هذا السؤال وهو : « **كيف يتم الاتصال بين الله الغير المحدود والخلائق المحدودة بما فيها الإنسان المحدود أيضاً ؟؟ وكيف تتأتى الصلة بين هذا الخالق ومخلوقاته ؟؟ » لأنه لما كان الله غير محدود ، وخلائقه محدودة انعدمت كل علاقة وانقطعت كل صلة بين الطرفين !!**

• • •

وهكذا يبدو أن نشوء علاقة حقيقية بين الإنسان والله ــ بحسب ظاهر الأمر ــ صعبة ومستحيلة ، وقد حاول البشر عن طريق قادة الفكر الدينيين والفلاسفة إيجاد حل لهذه المشكلة :

وقد رأت اليهودية أن الحل هو فى إيجاد الوساطة بين الله والعالم ... لأنها على أساس تنزيه الله المانع لاتصاله بالعالم كان لا بد أن يكون اتصاله عن طريق وسطاء ... وبذلك فتحت الباب للغنوسية لاختراع فكرة الوساطة الملائكية بين البشر والله ، وأن الخلاص لا يكتسب إلا بمعرفة هؤلاء الوسطاء ــ الأمر الذى كان من نتائجه عبادة الملائكة ...

أما المسيحية نفسها ــ وهى التى عرفت يسوع المسيح كالوسيط الوحيد ــ فإنها فى

العصور الوسطى المظلمة ــ أخفته وأبعدته جداً واستعاضت عنه بصوره وتماثيله ثم بالقديسين والعذراء جاعلة إياهم وسطاء بيننا وبين الله ــ وبذلك تحولت عنه ووضعته فى الظل البعيد ...

وجاء التوحيد المطلق فأعلن عن طريق التنزيه بأن الله بعيد تماماً عن أى اتصال ، وأنه وإن كان سيداً متسلطاً على كل شئ ، لكن الحوادث منفصلة عنه لئلا ينخفض شأنه تعالى باتصاله بها !؟ « ووصل رأى المعتزلة فى الوحدانية إلى تجريد الله من الصفات وإستحالة رؤيته ... على أن الحنين إلى رؤية الله الكامن فى القلب البشرى ظهر هو أيضاً على يد الصوفيين الذين أقروا ضرورة تجلى الله وظهوره للكائنات حتى لا تنقطع صلتها به ــ وهنا ظهر مذهب الشيعة الذى ادّعى إمكانية حلول الله فى « القادة الدينيين » ــ الأئمة ــ وأن الله يتكلم فيهم وأن أوامرهم إلهية واجبة التنفيذ ، وكأنهم بذلك أشبه « بالوسطاء » الشرعيون المقامين بين المولى وعبيده !!

• • •

كل هذا يثبت حاجة البشر إلى وسيط ــ فمن ترى يكون هذا الوسيط ؟ وقد وصل الحال ببعض المبادئ الدينية اعتناق أصحابها بأن لا حاجة بهم إلى وسيط يكون بينهم وبين الله ــ ولكننا نعلم أن التنزيه هو جانب من الحق الخاص بالله ، وهو أشبه بالاعتقاد الرسمى عنه ، مع أن ظهور الصوفية نفسها حقق بأن التنزيه نفسه لا يشبع رغائب البشر لتجرده من العوامل الروحية التى بها يتحقق الإعلان الكامل عن الله فى « التجلى » والذى لابد أن يتوازن مع « التنزيه » حتى يكون الله بهما « الباطن والظاهر »!

• • •

• ملاك حضرته الوسيط الوحيد :

عندما نرجع إلى التوراة نجد فيها مطلع الإعلان عن يسوع المسيح فإن جميع أنبياء العهد القديم قد تكلموا عن المسيح كالذى يتم فى شخصه « الظهور الإلهى » الذى بواسطته فقط تنشأ العلاقة مع الله ويتم الوصول إليه ورؤيته وبدونه يكون كل ذلك مستحيلاً ... فإننا نجد فيه أن الإله الغير محدود قد أعلن نفسه لمخلوقاته المحدودة ، ولذلك فإننا نراه قد انفرد بالوساطة التى أخذت شكلها المبدأى فى ظهوره كملاك حضرته ــ ملاك العهد ... !!

نعم لقد أقام الرب أنبياء متميزين عن البشر لكن ليس فيهم الظهور الإلهى ، وأرسل ملائكة ليقدموا معونات للبشر لكن ليس فيهم هذا الظهور وليس بوسع نبى أو رسول أو ملاك أن يقف فى موقف الوساطة هذه ويملأ الفجوة الكائنة بين الله ومخلوقاته ــ وفى ضوء كل هذا فإننا نقول أن حلقة الاتصال الوحيدة بيننا وبين الله هى يسوع المسيح ــ ملاك حضرته ! ولا شك أن هذا الإسم هو من أعظم ما تسمى به المسيح قبل ظهوره فى الجسد ، وهو يعنى ملاك حضوره ــ أى الملاك الذى يتم به وفيه الحضور الإلهى ... إنه الرسول وهو الحضور ، فهو الرسول من قبل الله إلينا ، وهو الذى يأتى فيه الله أيضاً فيتحقق به الحضور الإلهى عملياً وفعلياً ... !! ولذلك فإنه هو الذى يأتى للبشر فى ضيقاتهم فيعمل لهم ما ليس فى استطاعة البشر عمله ، وذلك فى ظروف احتياجاتهم ووفقاً لطرقه التى يختارها ــ هو الذى يعطى

المعونة الإلهية لنجدة من يعرفونه ويطلبونه — والحضور الإلهى المتمثل فى ملاك حضرته هذا يعطينا اليقين أن الله قد حضر حضوراً يقينياً خاصاً يجتمع بحضوره المستعدين لتقبل هذا الحضور ممن يكونون قد وصلوا إلى حالة مهيئة لتقبله روحانياً ... دون حاجة إلى التقشف والزهد وطقوس العبادات الناقلة وادعاءات الغيرة الحماسية الكاذبة التى لا تريد أن تعرف شيئاً عن هذا « المتوسط الروحانى » الذى أطلقت عليه الصوفية « القطب الجاذب » . أما الهيئات التى سبق الاشارة اليها فانها ترفضه تماماً وتسخر منه . وبالتالى فإنها تعيش خالية من أى علاقة حقيقية مع الله حتى وإن ادّعت بغير ذلك !!

• قطعية الحضور الإلهى وجلاله :

رأينا أن الوساطة التى تحقق الحضور الإلهى للبشر لم تأت من جانبهم إذ بدت مستحيلة بالنسبة لهم — ولكن ونحن فى حالة العجز ظهر هو وحضر إلينا وأوجد هو الوساطة والارتباط وأعلن عن ذلك لموسى كليمه فى قوله له : « وجهى يسير فأريحك . فقال له (موسى) إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من ههنا » خروج ٣٣ : ١٤ و ١٥ . فلما أجاب الرب طلبته هذه توسع موسى فى الطلب « فقال أرنى مجدك » وقصد بذلك أن يرى مجده الذاتى — أى مجد صورته الجوهرية — ولما كان هذا الأمر ممتنع على الخلائق وضمنها موسى كليمه كان رد الله عليه : « لا تقدر أن ترى وجهى . لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » ع ٢٠ . ولكن الرب أعد له مكان نقرة من الصخرة وأفهمه أنه بعد أن يجتاز ينظر ورائه معقباً بالقول : « وأما وجهى فلا يُرى » !

وهنا يبدو التناقض الظاهرى فى إستخدام الوحى كلمة « وجهى » بمعنيين مختلفين : أولهما « وجهى يسير فأريحك » وثانيهما « لا تقدر أن ترى وجهى » :

ففى المعنى الأول نرى بأن المقصود من قوله : « وجهى يسير فأريحك » ملاك حضرته هذا ، وقد وردت كلمة « وجهى » هنا وفى تعقيب موسى بقوله : « إن لم يسر وجهك » فى أغلب الترجمات كما وفى الترجمة التفسيرية (الحديثة) « حضورى » «My Presence» بينما وردت فى المرتين الثانيتين : « لا تقدر أن ترى وجهى » و « أما وجهى فلا يُرى » طبق الترجمة الواردة عنهما فى العربية وهى «My Face» .

أما عن « الحضور الإلهى » فنرى فيه رحمة الله وصلاحه يظهران فى ملاك العهد « المسيا » وهكذا كان تفسير اليهود لهذا الموضع بالذات ! أما قول الله لكليمه موسى فى هذا الشأن « فتنظر ورائى » . القول الذى نقده ديدات بتفكيره المتزمت الذى يستحيل أن يوصله لمعانى الكتاب المقدس الرمزية الروحية ، فإنما يقصد به الظهور الإلهى فى حالة احتجاب أى الآثار المتخلفة عن ظهور — ملاك حضرته هذا فى الناسوت — والإشارة هنا واضحة إليه كالصخرة ووجود نقرة فيها تمثل جنبه المطعون حيث يكون الاختباء عند رؤية اللمعان المنعكس فى هذا التجلى الذى إنما يُرى بحسب طاقة قدرة البشر بما فى ذلك كليم الله نفسه !!

هذا عن الحضور الإلهى الذى يقول عنه يعقوب فى فنوئيل — ومعناها وجه الله — « نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسى » (تك

٣٠:٣٢) كما ورد عن موسى : « ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه » (خر ١١:٣٣) وعن داود قوله : « أما أنا فبالبر أنظر وجهك » (مز ١٥:١٧) وأيضاً « ارتجى الله لأنى بعد أحمده لأجل خلاص وجهه » (مز ٥:٤٢) وفى مباركة الشعب القديم جاء النص : « يضئ الرب بوجهك عليك ويرحمك . يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً (عدد ٢٥:٦) وفى هذا النطاق ــ الحضور الإلهى ــ جاءت أقوال عديدة فى المزامير فى شكل التماسات خلاصتها : « لا تخفى وجهك عنى » ــ « إلى متى تحجب وجهك عنى ــ استر وجهك عن خطاياى ــ لا تطرحنى من قدام وجهك ــ أضئ بوجهك على عبدك . خلصنى برحمتك ــ أنر بوجهك فنخلص !

أما الرؤية الكاملة للجلال الإلهى ــ أى بهاء ونور ذات الله ــ فإن هذا هو الممتنع فى حق الخلائق حتى لو كان موسى الكليم نفسه ولذلك قال سبحانه لموسى هنا : « لن ترى وجهى . لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » ... « أما وجهى فلا يُرى ــ أى يظل محجوباً عن العيان » !!

● ● ●

أما تيودور المبسطى فقد استعمل لفظة « وجه » بدل « أقنوم » كما ذكرها انثيمس برهمة الله بقوله أن الخاصة الوجهية التى للأقانيم ترسم اللاهوت جملة وما ترسم جزءاً منه ــ وجدير بالذكر أن أبو الهزيل المعتزلى قد أثبت أن صفات الله هى وجوه للذات فتكون هى بعينها أقانيم النصارى ! ولكننا علمنا مما تقدم أن هذه اللفظة « وجه » قد تعنى أحياناً « مظهر » وأحياناً تشير إلى « الجوهر » وقد تشير العبارتين التاليتين إلى ذلك . الأولى منهما إلى « المظهر » فى القول : « وأينما تولوا فثم وجه الله » (أى مظهر حضوره) والثانية فى القول : « وبيقى وجه ربك ذى الجلال والإكرام » . أما عن الحضور الإلهى ــ اللاهوت معلناً ــ فقد اتخذ شكلاً منظوراً فى القديم وهو « الشكينا » ــ وهى مجد الحلول الإلهى عند حضوره (البهاء الذى كان يملأ المسكن فى قدس أقداس خيمة الاجتماع ومحراب هيكل سليمان) وكان يمنع من دخول أحد إليها . وترجمة « الشكينا » العربية هى « السكينة » أى (محل حضور الله الخاص) الأمر الذى تم نهائياً ومركزياً وأبدياً فى المسيح ــ باعتباره « ملاك حضرته » !

هذا هو الجانب الذى يقدمه لنا أشعياء من الاعلان الكتابى فهو عند إعلانه تسابيح ذكر إحسانات الرب . يقدم لنا إنقاذاً يفوق التصور عن « ملاك حضرته » أى الوسيط الذى يتراءى أمامه ليشفع ويخلص !

● ● ●

ملاك حضرته هو نفسه ملاك العهد :

فإن هذين الاسمين هما لمسمى واحد ــ وهما معا أسمى إعلان عن الله تعالى تحت إسم « يهوه » الذى يدل على الارتباط « بالعهد » . فيعلن الله الخالق « الوهيم » كالذى تعتمد عليه خلائقه فى كل شئ !!

هذا الملاك المبارك الذى يمثل الحضور الإلهى الذى ترافقه الشكينا أى السكينة وهى التى يضعها الله فى قلوب المؤمنين الذين يقبلون هذا

الحضور ... وهو الذى يمنحهم الإشباع والارتياح ... فلا يحتاجون بذلك لأى شئ !!

أما كونه « ملاك العهد » فهو كذلك بالإطلاق تأسيساً على العلاقة التى أنشأها بين الله والإنسان . وهو فى لقبه هذا هو الذى يُسَرّ به من ينتظرونه — فبحسب ما ذكره ملاخى عنه . « هوذا يأتى » نقول نحن : إنه أتى فى العهد الجديد :

وهذا يعنى أنه الشخصية الفريدة التى عقدت عهداً بين الله والبشر — عهداً من جانب الله يعطى الأمان والخلاص لمن يقبلون ملاك العهد هذا — ويقدم لهم وعود أبيه ليحققها لهم . وهو أيضاً فيهم يتعهد عنهم بتقديم وعودهم لأبيه — وهو يقوم بتنفيذها كملاك العهد . أى وسيط العهد الجديد — العهد الأفضل !!

الفصــل الرابــع

رئيس جند الرب

أنا رئيس جند الرب ... فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد له » (يش ٥:١٤) « رب الجنود مجده ملء كل الأرض » (أش ٦:٣) « قال أشعياء هذا حين رأى مجده (مجد يسوع) وتكلم عنه » (يو ١٢:٤١)

● ● ●

• إسم خاص يصف عمله :

« رئيس جند الرب » هو إسم خاص بالرب يسوع يصف عمله ، وهو يدل على لاهوته ، ويكشف عن جانب مهم جداً من العظمة الإلهية التي تتمثل فيه كالجوانب الأخرى الكامنة في إسمه الشخصي « يسوع » وإسمه الانتسابي « الناصري » ، وإسمه الوظيفي « المسيح » ، وإسمه التوفيقي الذي يربط الخليقة بالله وهو « ملاك حضرته ملاك العهد » وإسمه الوصفي « عمانوئيل » — الذي تفسيره « الله معنا » — وهكذا ... إلخ .

فهذا الإسم الذي أمامنا « رئيس جند الرب » يكشف عن جانب جديد من جوانب العظمة التي تختص بالمسيح ضمن الوجوه العديدة التي تتجمع في سائر أسمائه وصفاته الإلهية ...

نحن نميل أن نحصر عمله في الدائرة التي تخصنا وهي « الفداء » ، **ولكننا عندما نأتي إلى إسم العمل ، فإننا سوف نندهش لأن إسمه « رئيس جند الرب » هو إسم مرادف لإسم « رب الجنود » ، وتتمثل فيهما السلطة العليا على الكائنات بأسرها ، ففيهما إعلان السيادة الإلهية ، وهما معاً يجعلان منه : « المسيح الرئيس » ، باعتباره رئيس الرؤساء ، ورئيس الشعوب ورئيس ملوك الأرض ، والرئيس الأعلى الذي يتولى الهيمنة على الكل** ... الذي قيل عنه « وتكون الرئاسة على كتفه » (أش ٩:٦) وأيضاً : « أنه فوق كل رياسة وسلطان وإسم وسيادة » (أف ١) وكذلك : «هو رأس كل رياسة وسلطان » (كو ٢) **ومعنى هذا كله أنه هو الذي تتحقق فيه أعلى سلطة في الوجود ، وذلك لأن رئاسته مطلقة شاملة بلاحدود — فهو صاحب السلطان الأعلى والأمر النافذ ، فهو وحده الذي إسمه قد تعالى فوق الجميع ... !**

إنه في إسم العمل هذا هو الحاضر في مجريات أحداث التاريخ ومشيئته الحاضرة بأمرها النافذ هي التي تعلو بهذه المجريات فوق القدرية التي يفرضها بعضهم على الله ويعتقد بأنها مكتوبة في

لوح محفوظ وقد وصل الحال بالبعض إلى نسبة كل ما يحدث لهذا القدر ، بل إنهم يعتبرون نفس القرارات القدرية هي ما سبق المولى فأصدرها وألزم بها نفسه — مع ما في ذلك من قيد عليه ، سبحانه أن يكون كذلك ... !

أما السيادة المعلنة في إسم « رئيس جند الرب » فإنها تعني ضبط مطلق للخليقة وإشراف على واقع تاريخها وحوادثها بطريقة مذهلة يجب أن نتعرفها ونتحسسها لكي نعمل حسابها فيما تفعله سواء معنا أو علينا . وهي تتمثل في صورة الراكب على فرس أبيض تحت الآس يتلقى تقارير الدورات الملائكية التي تجوب الأرض ويعطيها الأوامر ... !

هذا يكشف عن أن جميع الرئاسات المرتبة من الله سواء ملائكية أو بشرية أو حتى شيطانية — كلها بأسرها تخضع هذه الرئاسة العليا وسائر التحركات والحوادث جميعها محكوم بهذه السيادة المطلقة — هذا هو نظام وانضباط بموجب الناموس الكوني الذي تمارس به هذه السيادة قدرتها التامة — وهذا ما أعلنته رسائل العهد الجديد عن المسيح الذي بعد أن دخل في نطاق البشرية وهذا النظام الذي يحكمها سما وعلا وأظهر سلطانه على الطبيعة والأرواح والأمراض ... إلخ . هذا الذي وحده قد أعلن بأنه من بعد تجسده وموته وقيامته . قد دفع إليه كل سلطان مما تبين منه أن زمام كل الأمور في يده ومرجع ذلك إلى إسم عمله الذي يتفرد به « رئيس جند الرب » والذي بموجبه نجده يقوم بضبط الكون وحفظ النظام فيه باعتباره « القائد الأعلى » « القائد العام » قائد الميدان كله قائد الصراع كله في السماء وعلى الأرض على مجرى الزمان ، وهو في نفس الوقت قائد معركة كل حياة شخصية على مجرى التاريخ !

• إسم مرادف لاسم رب الجنود :

يبرز بين أسماء العهد القديم إسم « يهوه صبؤوت » الذي ترجمته « رب الجنود » ، وهو يحمل إعلاناً عن قوة رب الجنود ووفرة أجناده العلوية التي وزعها بترتيب فائق في مراتب وطغمات ونشرها في عالمه لحفظ النظام فيه ... ويتكون منها جميعها محفلاً هائلاً دعي بسببه خالقهم « رب الجنود » ، ولذلك دعي أيضاً « الرب القادر على كل شيء ! على أن قدرته أصلية ذاتية لأنه هو خالق جنوده هؤلاء !

وقد حسب بعضهم ورود إسم « رب الجنود » في الكتاب المقدس ووجده ٩٩ مرة وقد وصف أن منه البركة وفيه الغيرة المتقدة وأنه ملجأنا وعلينا أن نتوكل عليه ونحتمي في مساكنه ، وأن له يوماً على كل متعظم ، وأنه لابد أن يتعالى بالعدل ، وأنه يعرض جيشه ، والأرض تتزعزع من مكانها في يوم حمو غضبه ... !

يضاف لما سلف ذكره أنه الصانع ومصوّر الجميع ، الإله العظيم الجبار صانع الإحسان ومجازي الذنب ... وأن السجود يليق به « صوت القائلين احمدوا رب الجنود » ، وقد أقسم بذاته قائلاً : « حي أنا يقول الملك رب الجنود » !

هذا معناه أننا نسبحه لا لوجوده فقط ولا لأجل أعماله في الخليقة وفي الفداء لكن

لسبب سيادته المطلقة ، فهو سيد الأسياد ورئيس الرؤساء وبموجب الاعلان عنه فى العهد الجديد « هو رب الكل » ؟ ولا شك أن هذه السيادة التامة أغاظت الشيطان فخدع قوم بأن جعلهم يتعامون عن حقيقتها فقاموا يحرفون معنى « رئيس جند الرب » ويفصلون بينه وبين رب الجنود إمعاناً منهم فى ضلالهم هذا ...

• من ينطبق عليه هذا الاسم « رئيس جند الرب » :

لا شك أن فى قوله « رئيس جند الرب » دل به على أنه القائد الأعلى ، وأنه قادر على الحرب ومستعد لها ، ومما يناسب هذا أن محاربات اسرائيل فى كنعان دعيت « حروب الرب » !

وسرعان ما عرفه يشوع بعد أن كان قد سمع عنه من موسى كالكائن العظيم المجيد الذى لا حد لكماله ولا لعنايته ، ولذلك سجد له يشوع إذ عرف أنه الرب فى صورة منظورة ، إنه ابن الله الأزلى فى هيئة إنسان ــ **واعتقادنا ذلك لأسباب :**

١ ــ أنه دعا نفسه رئيس جند الرب : وهو بمثابة رب الجنود وهو لا يمكن أن يكون غير الرب يسوع نفسه ، فإنه هو الذى أشار إليه الكتاب فى أشعياء اصحاح ٦ كالملك الجالس على كرسى عالٍ والمسبح بالقول : « رب الجنود ، مجده ملء كل الأرض ... ومن الرسالة التى كلف بها أشعياء ويرددها البشير يوحنا عن العقاب الذى سيحل بشعبه الرافض له نتقابل مع هذا التعقيب القاطع بأن ما قاله أشعياء حينئذ ــ أى فى تلك المناسبة – إنما قاله عن يسوع نفسه عندما رأى مجده ! فالذى قال عنه اشعياء : « رأيت السيد جالساً على كرسى عال ومرتفع » يتضح من إنجيل يوحنا (١٢ : ١١) أنه إنما هو المسيح نفسه !

٢ ــ قدس المكان بحضوره : وهذا فى الكتاب من الأمور المختصة بالله ، وأمر يشوع بخلع نعله علامة احترام حضور الله وعبادته حسب النظام القديم ، مما دلّ على أنه إله ، لأنه ما كان ليؤمر بذلك دينياً إلا فى الحضرة الإلهية ، حيث أن حضور الله يجعل المكان الذى يظهر فيه مقدساً ، وخلع الحذاء هنا من علامات الوقار والهيبة !

٣ ــ ذكر عنه فى الآية الثانية من الاصحاح السادس من سفر يشوع أنه الرب (يهوه) حيث نجد النص : « وقال الرب ليشوع قد دفعت بيدك أريحا » وهو هنا نفس الشخص الذى قابله كرئيس جند الرب ، والحديث هنا مستمر ، وهو الذى بدأه معه قبلاً ، أما ما جاء فى العدد الأول من هذا الاصحاح عن انغلاق أريحا فهو جملة اعتراضية فقط !

٤ ــ لقد قبل عبادة يشوع ، فلو كان ملاكاً أو غيره من المخلوقات لمنع يشوع من ذلك لا محالة : نعم أنه ظهر كإنسان (رجل) واقف أمام يشوع ، لم يكن ذلك فى حلم بل فى ظهور واقعى لشخص حقيقى منظور ، وإذ سمع يشوع منه أنه « رئيس جند الرب » أدرك فى الحال أنه ليس أمام مجرد إنسان أو ملاك ... لأنه لو كان هذا أو ذاك لرفض فى الحال سجود يشوع له !

فإن بولس وبرنابا رفضا سجود أهل لسترا لهما ، وكذلك رفض بطرس سجود كرنيليوس

له ، كما رفض الملاك سجود يوحنا الرائى له ... أما سجود يشوع هنا ، فإن هذه الشخصية لم تصده عنه بل قبلته ، كما قبلت سجود بطرس وهو فى سفينة الصيد ، وسجود الأبرص عند طلبه منه الشفاء، وسجود التلاميذ عندما التقوا به فى الجليل بعد قيامته !

فتقبّله السجود هنا من يشوع ما كان ممكناً لولا اعتقاد يشوع فيه بأنه شخص إلهى ومن ثم فقد سقط على وجهه وسجد له وقبّله رئيساً له مخاطباً إياه بالقول : « ماذا يقول سيدى لعبده ؟ » ! وهذا اعتراف ضمنى من يشوع بأن المسيح سيده وأنه هو عبد له تحت أمره فاستعد ليأخذ منه التعليمات ... لذلك قابله يشوع باحترام عميق قبّلَهُ منه ! مما دعا يشوع أن يتحقق بأنه أمام شخصية إلهية غير عادية ، وترجاه أن يتلقى منه الأوامر ، لأنه أياً تكون عظمة أى إنسان ـــ فقد كان يشوع مثلاً قائد جيش اسرائيل فى هذا الوقت ـــ ولكنه رأى من واجبه أن ينحنى أمام صاحب هذه العظمة المطلقة !! ويسأله : « هل أنت معنا أم علينا ؟ » ومع أنه لم يعطه جواباً مباشراً عن ذلك ، إلا أنه أفهمه بأنه هو الذى سيقرر مصير المعركة ...

• رئيس جند الرب ليس هو رئيس الملائكة « ميخائيل » :

بالرغم من هذه الحقائق الواضحة التى هى موضع تبجيل واحترام لدى الذين يعرفون الحق من هو يسوع المسيح ، إلا أن إبليس رأى أن يقلل من شأن هذا الإسم وقيمته ، فدفع شهود يهوه والسبتيين إلى استبدال عبارة « جند الرب » بكلمة « الملائكة » وذلك على سبيل الإيهام والتضليل ـــ فادّعوا بأن « رئيس جند الرب » هو « رئيس الملائكة ميخائيل » بعينه ! وقد تكشفت هذه الحقيقة فى كتاب إلين هوايت « مشتهى الأجيال » بذيل صفحة ٨٠ « بأن المعنى الحرفى للإسم ـــ ميخائيل ـــ هو « مثيل الله » أو « شبيه الله » ، وأنه بمقارنة عدد من آيات الكتاب المقدس بعضها ببعض نجد أن ميخائيل هو المسيح . فالكتاب يدعوه فى يهوذا ع ٩ « رئيس الملائكة » ، وفى تسالونيكى الأولى ٤:١٦ وردت عبارة « صوت رئيس ملائكة » مقترنة بالقيامة فى المجئ الثانى . وقد قال المسيح نفسه « إن الموتى يقومون من قبورهم حينما يسمعون صوت ابن الانسان » (يو ٥:٢٨) ومن ذلك يتضح جلياً ـــ على حد قولها ـــ إن ميخائيل ليس سوى الرب يسوع نفسه !

ويشارك شهود يهوه السبتيين فى هذا التفسير الملتوى بقولهم أن المسيح هو أمير أو رئيس بين جميع الخلائق الأخرى . وأنه فى هذا المركز له إسم آخر هو « ميخائيل » الذى يعنى « من مثل الله ؟ »

ولا شك أن القصد من هذه الضلالة هو تحويل المسيح من « رئيس جند الرب » الذى تتمثل فيه السيادة الإلهية المطلقة إلى مخلوق إسمه « ميخائيل » ـــ وبالطبع لا ميخائيل ، ولا لوسيفر الملاك الساقط من قبل ولا كل رؤساء الأرض يكونون ذرة فى عظمة المسيح .

• • •

وهذا الذى يجاهرون به إنما هو تعليم كاذب ومهلك ، وهو يمس مركز المسيح فى وصفه « رئيس جند الرب » ، وللرد على هذا التفسير نقول :

أولاً : ليس جند الرب هم الملائكة فقط :

نعم إن الملائكة فِرَق وجيوش غير منظورة ولكن هذا لم يمنع أن هناك جيش إسرائيل المنظور وجنود الرب من البشر المفديين يحاربون تحت أمره وقيادته . لقد أطلق يعقوب على محلته إسم « محنايم » ومعناها « جيشين » (الملائكى والبشرى) . ولقد كان على جيش اسرائيل دور فى الدوران حول أسوار أريحا التى أسقطتها القوات غير المنظورة ! وبجانب ذلك اعتبرت العناصر مثل حجارة البرد مثلاً والثلج كلها من أجناده ــ وهى التى حاربت سيسرا قديماً وأسقطت نابليون عند موسكو ! والرب يسوع هنا باعتباره « القائد الأعلى » جاء ليعرض جيوشه الملائكية والبشرية ، وسيفه مسلول مستعد به للحرب ، وهو فى مقدمة شعبه دائماً لكى يعطيهم الانتصار ! ويعتبر من جنوده النار وعوامل الطبيعة المدمرة وغيرها من التغييرات السياسية والاقتصادية والتى نراها فى أماكن كثيرة من بينها ما كانت نتيجته انهيار الشيوعية فى التاريخ المعاصر !

ثانياً : « ليس الملاك ميخائيل هو رئيس الملائكة الوحيد » :

فقد قيل عنه فى دانيال ١٠ : ١٣ « أنه واحد من الرؤساء الأولين ، ومعنى ذلك أن هناك معه رؤساء آخرين أولين وهو واحد منهم » بل يبدو أن لوسيفر نفسه كان قبل السقوط رئيس ملائكة ــ هم حرس التشريفه بكل أنواع الموسيقى ــ لكن ميخائيل هو رئيس الملائكة الوحيد الذى ذكر إسمه مع وظيفته هذه ! على أن الكنائس القديمة ترى أن رؤساء الملائكة هم سبعة وليس واحداً وتعرف أسمائهم . ومن المعلوم أن رؤساء الملائكة هؤلاء وضمنهم ميخائيل مخلوقين ، وأما المسيح فليس هو برئيس الملائكة « ميخائيل » ، بل هو « رئيس جند الرب » !

ثالثاً : من جهة المعنى الصحيح للفظة ميخائيل وهو « من مثل الله » :

إنه لسان الحال الذى أورده الله عن نفسه وخاصة فى مزمور ٨٩ : ٦ ونصه « من فى السماء يعادل الرب . من يشبه الرب بين أبناء الله » وفى المزمور المائة « إعلموا أن الرب هو الله » وفى أشعياء : « أنا الإله وليس مثلى » . ومن المعلوم أنه وإن كان « ميخائيل » فى معنى إسمه هذا « من مثل الله » قد أقامه الله كشاهد لعظمته الفريدة بالطبع ، إلا أننا لا نخلطه هنا بالمسيح حسبما فعلوا ، لأن المسيح ليس هو مثيل أو شبيه الله ، بل هو الله نفسه بحكم وحدانية الجوهر الذى للثلاثة أقانيم !

رابعاً : من جهة الإدماج الذى اصطنعوه بين المسيح ورئيس الملائكة عند القيامة :

فإن ما أوردوه هنا عن إقامة المسيح للموتى عند مجيئه بصوت رئيس ملائكة ... فمن جهة نجد أن هذه القيامة (الأولى) وهى لشعبه فإنها تكشف عن قدرته الفائقة ، والهتاف المنسوب هنا هو صوت الأمر الذى به تلبس الأرواح أجسادها ، أما صوت رئيس الملائكة فهو ضربه بالبوق لجمع الأحياء الباقين عند مجىء الرب ــ ومن ثم فليس هناك مثل هذا الإدماج المزعوم !

الباب الثانى
يسوع فى عالم البشر

الفصل الخامس

تعريف بمعنى إسم يسوع

« فستلد إبناً وتدعو إسمه يسوع . لأنه يخلص شعبه من خطاياهم (متى ١:٢١)

« وها أنت ستحبلين وتلدين إبناً وتسمينه يسوع » (لو١:٣١)

● ● ●

• بشارة الميلاد :

يتساءل الناس على مر العصور عن حقيقة شخصية المسيح ، ومع أن هذه الحقيقة ألقت ظلالها بين كافة الشعوب منذ القدم في « عقيدة المخلص » ، إلا أنها قد تركزت في التوراة وظن الشعب القديم أنها إنما تنحصر في الخلاص من حكم الرومان ولكن حديث النبوات عنه وكذلك مضمون البشارة بمولده قد اتجها إلى الاعلان عنه « **كالمخلص الإلهي** » **الذى جاء ليفدى البشر ! وكان موعد الألف الرابعة من تاريخ الخليقة – وهى تقترب من نهايتها – موعدا ينتظر فيه الأكثرون ظهور هذا المخلص الموعود ! وظهر بذلك عصر الميلاد الذى تم فيه مولد المسيح الذى به بدأ التقويم الميلادى الذى تؤرخ به جميع بلدان العالم – وهذا في حد ذاته لأبلغ شهادة قدمها التاريخ نفسه لحقيقة ظهور هذا « المخلص الإلهى » !**

أعياد الميلاد مثلاً قلما يتحدثون عن يسوع المسيح شخصياً ، وإنما يضيفون في الاعتبار آثار مولده كالسلام والخير والرحمة ... وهذه المبادىء التى ارتبطت بشخصه قد عرفتها الدنيا كلها ... **ولذلك فاننا رفضنا أن نقف عند حدود هذه الشعارات ، وقصدنا أن نبحث عن يسوع المسيح نفسه من هو ، وهذا هو جوهر المسيحية وأساسها – وكيف لا يكون الأمر هكذا وهو موضوع اهتمام السماء الذى من أجله جاء الملاك جبرائيل – حامل البشارة – وبشر العذراء بميلاده بقوله لها : « ها أنت ستحبلين وتلدين إبنا وتسمينه يسوع »** وذهب هذا الملاك إلى ربوع بيت لحم وأعطى البشارة للرعاة بقوله لهم : « ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . أنه قد ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » (لو ١:٣١، ٢ : ١٠و١١)

• • •

ومما يؤخذ على المسيحية في الوقت الحاضر ، أنها ألقت الحقائق الأساسية التى تتكون منها عقيدتها حتى أن قادتها الذين يمثلون أدوارهم في

• • •

ومن ثم فاننا عقدنا هذا المؤتمر التاريخى ليدور البحث فيه عن : « من هو يسوع المسيح ؟ » – ونحن إذ نعود الى مسامعنا بشارة

الميلاد هذه بعينها ، هل تنفتح لها قلوبنا وترحب بها وهى أعظم مصدر للفرح الحقيقى ليس لمجموعة من الرعاة البسطاء ، بل لجميع الشعب أى كل من يقبل هذه البشارة ، فلا يوجد شىء أعظم منها فى العالم بأسرة ! إنها بشارة دائما جديدة لن يعتريها القدم قط ! وتأثيرها المفرح فى نفوس قابليها إنما لأنهم وجدوها أهم من وجودهم الشخصى إذ ما قيمة هذا الوجود – بدون الخلاص الذى أتى به المخلص . إن إسمه الآن يدوى فى أرجاء العالم بفاعلية لامثيل لها تعيد إلى الذاكرة ما حدث منه فى عصره ... وانما يتطلب الأمر منا أيها الأحباء أن نتخلى عن التحزبات الطائفيةوالمذهبية ونعود إلى شخص يسوع المسيح الذى هو مخلصنا !!

• • •

• يسوع الاسم الشخصى :

إن إسمه الشخصى « يسوع » هو أشهر الأسماء وأحبها إلى قلوبنا . فلقد كان هذا الإسم نبوة فريدة عند ولادته فأضحى إنجيلا مباركاً .. ومنذ مولده حدث شىء رهيب وهو أنه لا يمكن أن يخطر على بال أحد رجلاً أو امرأة : أن يسميا مولوداً لهما باسم « يسوع » ! وذلك لكى يبقى إسم « يسوع » وحده فريداً ، فلم يجرأ كائنا من كان أن يسمى وليدا له باسم يسوع – لأنه لا يحمل هذا الاسم إلا شخص واحد فريد لايمكن أن يشاركه فيه سواه فيسوع واحد وحيد تبارك إسمه إلى الأبد : وإسمه الفريد هذا لا يمكن أن يخلع على سواه ، فهو وحده إسمه « يسوع » !

لقد اشتهر هذا الاسم منذ قدوم المسيح الى العالم وظهوره بين البشر ليكون « المخلص » لكل المقدمين من كل أمه وقبيلة ولسان وشعب ... لقد ورد إسمه على صفحات العهد الجديد حوالى سبعمائة مرة – إنه يحتوى على كل موسيقى عذبة وسحر جذاب وجلال مرهب وجمال فائق ! وذلك لأنه الإله الذى حل بين البشر ليخلصهم من خطاياهم ، ومن ثم فليس هناك إسم آخر يحمل فى مدلوله المعنى الكامن فى إسم « يسوع » مما يجعله أحلى وأعذب كل الأسماء فى مسامع البشر الخطاة وعلى وجه خاص القلقين المتعبين الذين صار يهمهم أمر مصيرهم الأبدى !!

أما افتراءات الغافلين الذين يقولون أنه لم يكن هناك ضرورة لتدخل الله هكذا فى صنع الخلاص الذى أتمه يسوع بموته ، وهم يتساءلون أيضا لماذا لايكون هناك غفران بدون سفك دم – سائرين بذلك فى هذا الخط العقلانى الذى يسميه الكتاب المقدس « طريق قايين » وهو الذى يسلكه اليوم الملايين ، فاننا لا نقبل مثل هذه المجادلات العقيمه التى يبتكرها من يهوى معارضة نور وحى الاعلان الكتابى ، **ونقف فى هذا المجال مع بطرس الرسول فى إعلانه الوارد فى أعمال ٤ : ١٢ ونصه : « وليس بأحد غيره الخلاص . لأن ليس إسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » !**

ومن ثم فان ادعاءات كفاية تقويم الأخطاء وفعل العمل الصالح المقرون بمجرد الإيمان بالله فإنما هى ضرب من السلوك المرفوض لدى من

لا يعنيهم أمر خلاصهم . وكذلك الحال بالنسبة لمن يستندون على أديانهم وعقائدهم وأية وسائل أخرى بديلة خلاص يسوع المسيح !!

• الأصل فى اسم يسوع :

لكل إسم معناه ومدلوله ، ولكن لم يوجد إسم فى التاريخ سما فى معناه ومدلوله كاسم « يسوع » فهو إسم « الحضرة الإلهية » أى حضور الله الخاص الذى قد ارتبط بنا ارتباطاً وثيقاً يمكن أن يتم الإحساس به روحياً ومعنوياً ...

ويظهر أمجد معانى هذا الاسم عند التأمل فى تضمنه للفظة « يهوه » اسم الذات الالهية ومعناه « الكائن » :

والأصل فيه عند اعلانه لموسى الكليم « أهيه » أى « أنا الكائن » وترجمته « أكون » ، وقد ورد مرة واحدة بنطقه العبرانى هذا فى التوراة العربية ، ولكنه ورد فى صيغة الغائب باسم « يهوه » ليس أقل من سبع مرات ... وكل من الإسمين مشتق من الفعل العبرانى « HAVA » – هافا – ومعناها يكون ومعناهما « الكينونة المطلقة » **وقد ورد فى صيغة المفرد ليدل على الذات الإلهية الواحدة وجوهرها الواحد ..!!**

• • •

هذا هو الإسم الخاص الذى عُرف به الله والذى لا ينقل لآخر ولكننا نراه هنا قد ورد فى إسم يسوع وذلك لأنه يتكون من مقطعين هما « ياه » و « سوع » ! ومن المعلوم أن « ياه » هو اختصار اسم « يهوه » وله ضعا نفس المعنى ولم يستعمل لغير الله . وقد ورد فى مزمور ٦٨:٤ وأشعياء ٢٦:٤ وهو إسم مفرد وليس له جمع ، وكثيراً ما أُدخل فى أسماء وكلمات فى العهد القديم ، وهو المقطع الأول من إسم ربنا الجليل ويعنى « الكائن » وأما المقطع الثانى « سوع » فيعنى « مخلّص » ، وهما معاً يعنيان « يهوه مخلّص » وخلاصه ليس هو من الخطية فقط بل ومن التجارب والأحزان والموت والهلاك الخ – وخلاصه هذا هو إلى التمام !

هذا هو حال الذين يعرفون خلاصه ، إنهم يجدون فى إسمه « يسوع » الموسيقى المنعشة لحواسهم الروحية ، فإنه نشيد السماء والأرض !

• موقف شهود يهوه من هذا الاسم :

انه موقف متناقض غريب فانهم يقولون : إن من المعلوم أن الإسم « يسوع » معناه « يهوه المخلّص » (كتابهم ليكن الله صادقا صـ ٤٠) ، ولكنهم يعودون فيقولون بأن هذا لا يدل على شيء أكثر مما كان يدل عليه إسم « يشوع » ، لأن الكلمة « يسوع » وهى يونانيه هى نفس الكلمه العبرانية « يشوع » !

فنقول إن إسم « يشوع » لم يكن إلا إسم رمزى لمن أدخل شعب اسرائيل أرض كنعان ، ولكن ذلك لم يكن الهدف النهائى . فقد كان لذلك الشعب أشواق نحو مجيء « مخلّص إلهى » يعلن به ملكوت الله . فلما جاء تسمى من الله بواسطة ملاك البشارة بهذا الاسم « يسوع » ! وأراد الله بهذه التسمية أن يدلنا فى يسوع على « يهوه المخلّص » الذى كان العالم فى انتظاره – فالذين تسموا به من قبل كانوا رمزاً له ، أما

هو فانه الصاحب الحقيقى لهذا الإسم والمنفرد به !

و لم يقف شهود يهوه عند هذا الحد من التنكر لمعنى إسم « يسوع » ، بل أنهم رغم اعترافهم الصريح بأن يسوع هو « يهوه المخلّص » عادوا يناقضون ذلك بافترائهم عليه بأنه مجرد روح مخلوق ضمن خلائق يهوه ... ولما كان يهوه نفسه بحسب ما فهمه الجميع هو إسم الله الخاص ، فانهم بتحويل يسوع إلى ما زعموه بأنه مجرد مخلوق - مع إقرارهم بانه يهوه - يكونون بذلك قد أنكروا وجود الإله الحقيقى للكون لأن يهوه لا ولن يكون مخلوقاً ...!! وفضلاً عن ذلك فأن الخلاص نفسه لا ينسب فى الكتاب الى أى مخلوق ، بل هو منسوب لله فقط ، ونعلم أن يسوع هو الذى خلصنا فكيف يكون هو صانع الخلاص ، ولايكون هو « يهوه » الذى لا ينسب الخلاص لسواه !؟ انظر القول : « لاتتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده » (مز ١٤٦:٣) وأيضا : « انا الرب إلهك ... مخلصك » و « أنا أنا الرب وليس غيرى مخلص » (أش ٤٣:٣و١١) وكذلك : « أليس أنا الرب إله بار ومخلّص ... التفتوا الىّ واخلصوا ياجميع أقاصى الأرض لأنى أنا الله وليس آخر » (أش ٤٥:٢١ و ٢٢) - هذا وقد جاء العهد الجديد : « الكرازة التى أنا أؤتمنت عليها بحسب أمر الله مخلصنا وأيضاً حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه ... » (تى ١:٣ ، ٣:٤)

ولاشك أن شخصية « يسوع » قد أربكت هؤلاء المؤتورين ولذلك وصفوه فى كتاباتهم بأنه : « كان نظير يهوه أبيه ... وأنه ما كان ليهوه كان كذلك ليسوع المسيح ... وأنه غير منظور من الانسان تماماً كما الله ... بل إن أحدا لايقدر أن ينظر إليه ويحيا » (كتابهم قيثارة الله صـ ٥٠٤) ، بل إنهم فى (كتابهم الحق يحررك صـ ٣٠٨) يقولون : « إنه حيثما يوجه يهوه نظره وانتباهه هناك هو بالفعل حاضر ، والأمر ذاته يصير مع يسوع المسيح ... فانه يعمل بالتمام كما يعمل أبوه ! وكذلك فى ص ٣١٩ يقولون : « إن الترجمة الصحيحة لرومية ١٣:١ « لتخضع كل نفس للسلاطين القائقة - بأن هذه فى الأصل هى « للسلطانان القائقان » ، وبحسب اقرارهم هم أنفسهم أنهما « الله ويسوع المسيح » - وهنا من حقنا أن نتساءل : ألاّ تدل عباراتهم هذه عن المساواه المطلقة بين يسوع ويهوه ؟ وبالنسبه لتفسيرهم الأخير - هل يارى تنازل الله عن نصف سلطانه وأشرك معه فى عظمته واحداً آخر؟ وكيف يكون الأمر كذلك وهو القائل: «انا الرب هذا إسمى ومجدى لا أعطيه لآخر» (أش ٤٢:٨)

• • •

ألاّ يدل تخبطهم هذا بحد ذاته على أن يسوع والله هما واحد ، لا من جهة الاقنومية التى فيها يتمايزان الواحد عن الآخر ، بل فى جوهر اللاهوت الواحد - ولا غرابة اذاً من أن إسم « يسوع » - يهوه المخلّص - لم يتسمى به أحد من بعد ما أطلق على الرب يسوع واصبح إسمه الشخصى !

• موقف الذين قلبوا إسم يسوع إلى عيسى :

يتساءل الدكتور صموئيل زويمر فى كتابه : « عيسى أم يسوع » بأنه إذا كان إسم المسيح فى الكتاب المقدس هو « يسوع » فمن أين جاءت كلمة « عيسى » التى ظهرت لتحل بدلاً من كلمة « يسوع » وهو يذكر عدة أسباب لهذا الإبدال من بينها أن سبب هذا التبديل هو السجع لكى تتوازن لفظة « عيسى » مع كلمة « موسى » ... ويقول آخرون أن « عيسى » كلمة مشتقه من « العيوس » (أى الأبيض يخالطه شىء من الاحمرار) . وقال بعضهم أن كلمة « عيسى » تعريب لكلمة « أيسوس » اليونانية المترجمة « يسوع » . بل أن هناك من يقول أن الناصريين - وهم الفئة التى آمنت بيسوع الناصرى من شعب اليهود ثم إرتدت عنه - اطلقوا على يسوع عيسو لمقتهم له فلما حطوا الرحال فى العربية تحول الاسم إلى عيسى ! ومع أن التعليل عن اشتقاق كلمة « عيسى » من « يسوع » بقلب وابدال يرونه مقبولاً على نوع ما . إلا أن كل هذه المحاولات إنما القصد منها إبعاد الكلمة الأصلية « يسوع » لإخفاء معناها الحقيقى بغية التخلص منه ...!!

وهكذا وقف هذا التغيير والتبديل حجر عثرة فى سبيل الراغبين فى الاطلاع على حقيقة معنى إسم « يسوع » . وأما من جهتنا نحن المسيحيين فإننا نقول عنه : « إنه يسوع لاعيسى » . لأنه مهما يكن من أمر تفسير لفظة « عيسى » فإنها لن تعدل معنى لفظة « يسوع » - المعنى الذى أدركناه بأنه حضور الذات الإلهية - يهوه - حضوراً خاصاً لغرض معين هو الخلاص !

• • •

وهكذا نرى فى يسوع « الكائن الإلهى » الذى يتخذ جميع أشكال الوجود وأوصافه بجانب اتصافه بالسرمدية . أى أن هذا الشخص بذلك استطاع أن يكون مركزاً لالتقاء الله بالانسان . وإلا فإن الصله حتماً مقطوعه بالله فى الوحدانية المطلقة - وذلك لأن لله مركز يحضر فيه حضوراً خاصاً مع أن حضوره العام فى دائرة لانهائية . فماذا إذا كان سبحانه قد اختار هذا المركز - أى هذا الحضور الخاص فى يسوع المسيح دون انحصار أو تقييد - وهذا هو أعظم اعلان عن حضور الله الخاص والمباشر فى يسوع المسيح« المخلص » !

هذا هو سبب تفرد هذا الإسم « يسوع » وكونه فوق كل إسم . لأن الذات الالهية تتمثل فيه - أى أن الله بهذا الإسم قد دخل بشخصه فى تاريخ البشر وتحدد بذلك غرض مجيئه . فهو لم يأت شهيداً ولا معلماً ولا مثالاً بل ليكون « المخلّص » - ومع أن خلاصه هو لجميع الناس لكنه إنما يتحقق فيمن يصبحون شعبه بقبولهم خلاصه !!

الفصـــل الســـادس

« الناصـرى » الإسم الانتسابى ليسوع

« وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة لكى يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصريا » (متى ٢ :٢٣)

● ● ●

• خلفية إسم الانتساب (الناصرى) :

هذا الإسم الانتسابى قد ألحق بإسمه الشخصى فصار يُعرف بيسوع الناصرى – وقد ورد الإسمان معاً فى مجالات مختلفة من بينها مناسبة قيام فيلبس بتقديمه لنثنائيل فقد قال عنه : « قد وجدنا يسوع الذى من الناصرة » (يو ١:٤٥) ، والشياطين عرفته فكانت تصرخ قائلة : « مالنا ولك يا يسوع الناصرى » (مر ١:٢٣) والجمع أخبر برتيماوس الأعمى أن المجتاز هو يسوع الناصرى (لو ١٨:٣٧) وعند دخوله أورشليم قالت الجموع : « هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل » (متى ٢١:١١) ، وعند توجههم للقبض عليه قال لهم مرتين : « من تطلبون » أجابوه « يسوع الناصرى » (يو ١٨:٤و٧) ، وقالت الجارية عن بطرس وقت محاكمة يسوع : « وهذا كان مع يسوع الناصرى » (متى ٢٦:٧١) وكان عنوان علته على الصليب هو : « يسوع الناصرى ملك اليهود » (يو ١٩:١٩) ، وفى اقامة المقعَّد قال له بطرس : « باسم يسوع المسيح الناصرى قم وامشى » (أع ٣:٦) ، وفى تعريفه بنفسه لشاول الطرسوسى وهو فى الطريق نجده يقول له : « أنا يسوع الناصرى الذى أنت تضطهده » (أع ٢٢:٨) **وهكذا نرى الارتباط الظاهر بين هذين الإسمين : الشخصى « يسوع » والانتسابى « الناصرى » !**

وهذا يأتى تلقائيا إلى التساؤل عن معنى هذا الإسم الانتسابى وما هو المقصود به بحسب ما قيل بشأنه فى النبوات ؟

الأصل فى هذا الإسم الانتسابى «الناصرى» ينبع من عادة شرقية مألوفة وهى إنتساب معلم أو زعيم إلى بلدته ، فيربط إسمه بإسمها ويرفع ذلك فوق أى ارتباط آخر :

فلما ظهر يسوع لقبه أتباعه الأولون – ومن خلفهم الشعب والسلطات اليهودية والرومانية « بالناصرى » نسبة إلى « الناصرة » البلدة التى نشأ فيها ... والإنجيل بحسب متى الذى دونه فى البيئة الاسرائيلية ولها قبل غيرها بذكر ذلك فى مطلعه فى القول : « أنه سيدعى ناصرياً » .

وقد ورد هذا الاسم عنه فى العهد الجديد ١٧ مرة ، أما الناصرة فقد جاء ذكرها فى الاناجيل وسفر الأعمال ١٢ مرة !

• • •

ومن الغريب هنا أن إسم « الناصرى » لم

يختره المسيح لنفسه ولا اختاره الناس له ، ولا جاء بالصدفة ، وإنما كان بتدبير إلهى : فلقد كان قصد يوسف أن يستوطن فى مدينة أجداده « أورشليم » هيكل الله والمدارس العليا لاعطاء فرصة لوارث داود العظيم – ولكن ما أن ملك أرخيلاوس على اليهودية ، وبعد أن أظهر مظاهر حسنة بقصد تأييد سلطته تغيّر سريعاً وأظهر من القساوة ما ماثل تصرفات أبيه حتى أنه قتل دفعة واحدة ثلاثة آلاف رجل فى وسط الهيكل ، الأمر الذى جعل يوسف يخاف أن يستوطن تحت ظله ... وقد طلب من الله إرشاداً له فى حيرته ، أجابه فى حلم بأن يرجعوا إلى وطنهم الأول « الناصرة » ويسكنوا هناك ...!!

• • •

وأول ما يلفت النظر هنا أن « الناصرة » لم يذكرها العهد القديم ولا يوسيفوس المؤرخ لأنها كانت قرية حقيرة وزاد فى حقارتها أنها كانت فى جليل الأمم – ولشدة حقارتها قيل عنها : « أمن الناصرة يخرج شئ صالح ؟ »

وهذا كان يعنى اتضاع عميق للسيد المسيح إذ ينتسب إلى قرية حقيرة كهذه ، ولكنه لم يأت ليأخذ كرامة من أى مصدر من خليقته ، ولكنه قد رفعها باتضاعه وانتسابه إليها ...

ولكن رغم حقارتها كانت مناسبة لنشوء يسوع فيها لأنها كانت على رابية عالية ، كما كانت بعيدة عن العظمة والغطرسة التى لأورشليم ، وكان يمر بها الكهنة لنوباتهم ، وكذلك قوافل التجار اليونانيين ، وجيوش الرومان – فكان هذا كله نافعاً للشاب يسوع ليتعرف على الأحوال التى حوله ...

ولا شك أن يسوع خضع فى الناصرة ، وإلا لحدث ارتباك عند يوسف ومريم لو نظر إليه باعتبار أصله السماوى ومن يكون !؟ أما هو فكان يقيناً متقد الحرارة فى حداثته – لكنه كان فى صبر عجيب ينتظر وقت ظهوره للخدمة ، كما ولابد وأنه كان معروفاً بالصلاح والتقوى كاملين ...

• • •

• ظهور اسم الناصريين الذى تحرّف الى النصارى :

واضح مما احتوته أسفار العهد الجديد أن الذين آمنوا بيسوع الناصرى فى نطاق اليهودية لم يتحرجوا من إعلان أتباعهم له على أساس إسمه الإنتسابى هذا « الناصرى » ، وتكونت منهم فرقة انتسبت إليه وأصبحت تعرف باسم « الناصريين » ، وكان سبب قبولهم لهذا الانتساب لإسم « الناصرى » أنه لايدل على الاعتراف بعقيدة ما ، ولا يستثير بغض اليهود لهم لأنه من عوائد بيئتهم!

وكان منشأهم هو إيمانهم بأن « يسوع الناصرى » هذا هو « المسيا المنتظر » ، وقد أعلن رسالته وأن لها سنداً فى أسفار العهد القديم ، لكن اليهود فى مجموعهم رفضوا الايمان بالدعوة وصاحبها فيما عدا الفئه التى تبعته وهى لاتزال فى نطاق اليهودية حتى إنتانراها تؤدى شعائر عبادتها فى الهيكل فى أوقاتها المعينة ..! مع أنهم كانوا يقيمون فيما بينهم عبادات خاصة يومية فى بيوتهم ، وقد اعتبروا نواة المسيحية بعد انسلاخهم من الأمة اليهودية ورفضها للناصرى الذى كانوا قد آمنوا به ، ومع ذلك كانوا فى البداية مجرد فرقة يهودية تميزت

بانتسابها ليسوع الناصرى ، فهم الطائفة التى آمنت به من بنى اسرائيل ، وبقيت على يهوديتها وتبعيتها لموسى وتمسكها بالختان وغيرتها على الشريعة (أع ١٥:٥ و ٢١:٢٠) فليسوا هم المسيحيون الذين بدأوا يحملون هذا الاسم فى أنطاكية ومنها انتشروا فى أنحاء الأرض - وهذا ينفى الظن الشائع أن « المسيحية » هى « النصرانية » بعينها ...!!

أما إسم « الناصريين » فقد تعرب إلى « أنصار الله » وهى ترجمة عربية لكلمة « نصارى » - وكانوا ينتظرون أن يعلن « الناصرى » نفسه « ملكاً » يحقق به كونه « المسيا المنتظر » ، فلما لم يتحقق ذلك بعد أن تحملوا الاضطهاد من أمتهم بسببه ، ارتدوا عنه وأنكروا العقائد المسيحية وتشتتوا فى الأقطار التى حول فلسطين وعلى وجه خاص فى بلاد الحجاز ، فهى التى حجزت بينهم وبين اليهودية والمسيحية وجعلتهم الأمه الوسط فيما بينهما . وكشفت المصادر التاريخية أنهم كانوا التمهيد لظهور الإسلام !!

• • •

وقد تخلف عن مذهب « الناصريين » شيوع استعمال كلمة « تنصير » أى جعل الأطفال الذين يعمدون فى « أحد التناصير » « نصارى » وقد تغطى بهذا الاستبدال اسم « نصارى » على اسم « مسيحيين » الأمر الذى يبين التجاوز فى هذا الاطلاق فى الشرق ...

أما فى الغرب فقد عاد هذا الاسم « النـــاصريين » « NAZAREN » للظهـــوز كمذهب مسيحى معاصر ، وهذا أمر فيه العجب ، لأن إطلاقه كان فى الأصل على الفرقة التى آمنت به من بنى إسرائيل ... ومع أن أولئك الناصريين - الذين تحرف إسمهم إلى النصارى - ليسواهم المسيحيون المنتشرون فى الأرض ، وقد انتهى وجودهم القديم ولم يعد له أثر بعد أن ذابوا تاريخياً وظهروا فى دين جديد ، فما أعجب إلحاقهم بعد هذا كله للمسيحية مما يساعد على تثبيت الظن الشائع بأن المسيحية هى النصرانية - وهو غير صحيح !

• أبعاد معانى إسم « الناصرى » :

يرى بعضهم أن معنى « الناصرة » هو « النذيرة » لأنها كانت مرقباً صالحاً للاستطلاع لأن التلال التى تحيط بتخومها تكشف الى أبعاد جبل الشيخ والكرمل وغيرهما ...

ولذلك يرى بعضهم أن معنى « الناصرى » هو « النذيرى » و « النذير » شخص فى طليعة الجيش ينذر قومه بالعدو ، ويبعدهم عن المخاطر والمفاجآت !

ورأى البعض الآخر أن أصل « ناصرة » من « النذارة » والتى يشتق منها « النذير » وهو الذى يفرز نفسه طواعية لخدمة الله بوجه من الوجوه !

• • •

ولكن بعد كل هذا تبقى لهذه التسميه معناها الخاص بسبب علاقتها بما حفلت به أسفار الأنبياء من تعاليم عامة تتصل باستيطانه « الناصرة » وأنه

سيدعى « ناصرياً » مما يتفق لا مع نبوة خاصة مفردة بل مع لغة الأنبياء جميعاً ونرى فيها معانى أعمق لكلمة « ناصرى » وهى :-

أولاً : إن كلمة « ناصرى » قد وردت فى العبرانية « نسرْ Nester » تعنى « غصن » أو « فرخ » - أى الفرع الخارج من الشجرة المقطوعة الميتة :

إنها هى التى وصفها أشعياء بأنها وان قطعت فنيها ساق يكون ساقه زرعاً مقدساً (٦:١٣) . هذه الشجرة تمثل لا اليهودية فقط بل البشرية جميعها فقد فقدت الحياة ماتت وانتهى أمرها ولكن من هذه الشجرة المقطوعة خرج « فرخ » من جذرها الميت بقدرة إلهية معجزية هو الذى قيل فيه : « نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة » (٥٣:٢) أما ما ورد عنه أيضاً أنه « الغصن » BRANCH « فقد وردت عنه الأوصاف الآتية :-

- « ويكون غصن الرب بهاءً ومجداً » (أش ٤:٢)
- « يخرج من جذع يسى ينبت غصن من أصوله » (أش ١١:١)
- « وأقيم لداود غصن بر فيملك » (أر ٢٣:٥)
- « أنبت لداود غصن البر فيجرى عدلاً وبراً » (ار ٣٣:١٥)
- « لانى هأنذا آتى بعبدى الغصن » (زك ٣:٨)
- « هوذا الرجل الغصن إسمه ... يبنى هيكل الرب » (زك ٦:١٢)

هذا الغصن الحى هو الذى أوجد التغيير كله ، فإنه كالغصن الحى تحدى موت البشرية وتغلب عليه وصار على إسمه رجاء الأمم ... إنه أسمى من مذاهبنا وعوائدنا وكل ما نرتبط به فى نطاق الشجرة الميتة فهو الحى الذى أحيانا ومنحنا الانتصار!

على أن المعنى يمتد هنا إلى أن المسيح كفرع إلهى سيكون مظهرة الخارجى فى البداية محتقر وصغير ، ولكنه سينمو ويكبر إلى أن يسود الممالك كلها - فمع أنه كالناصرى ليس له مكانة ولكنه مع ذلك المتوج « ملك الملوك » ، ولذلك نرى فى خلع إسم « الناصرى » على « يسوع » ارتباطاً برفعته القادمة - وهذا الفكر ينطبق تماما مع ما عرضه الأنبياء عنه وحقيقته فى طريق الإتمام !!

ثانياً : المعنى الثانى « للناصرى » هو إعلان عن انتسابه لمدينة معينة موجودة على الأرض جاء إليها يسوع وسكن فيها وحمل إسمها مما يظهر منه أن له وجود حقيقى مما يجعل الادعاء بأن وجود المسيح كان خرافة أو أسطورة ادعاء باطل عارٍ من الصحة اذ ان هذا الاسم الانتسابى « الناصرى » يؤكد وجوده الحقيقى على أرضنا فى زمان تجسده ، ولذلك ربط الوحى والتاريخ بين إسمه الخاص « يسوع » وإسمه الانتسابى « الناصرى » :

وواضح من مخاطبته لشاول الطرسوسى من على العرش بهذا الاسم أن هذا الشخص

السماوى قد زار عالمنا وارتبط بأرضنا وصار واحداً من سكانها فى زمان ومكان معينين لكى يكون مرتبطاً بالبشرية إلى الأبد ! وذلك لأن هذا الإسم الانتسابى هو عنوان اتحاده بالبشريه وأنه ظهر بين الناس إنسانا حقيقياً حلّ فيه كل ملء اللاهوت متحداً بالناسوت إتحاداً ذاتياً – فيما عدا الخطية – وحمل إسم موطن الاسرة تحقيقاً لتجسده العجيب هذا ، وقد قيل فى تأكيد ذلك أنه شخصية فريدة ظهرت بين الناس كما وصفها الانجيل ولولا ذلك لما استطاع أى خيال أن يبتدعها أو يرسمها على وجه الإطلاق – فهى صورة واقعية من نبع الخيال البشرى وليس فى نطاق القدرة البشرية اختراعها ... وبغض النظر عن مذهب « الناصريين » القديم والحديث فإن ملايين الشفاه تنطق باسمه « يسوع الناصرى » واثقة تماماً من وجوده الحقيقى !!

أليس فى هذه الحقيقة الرد مسبقاً على البدعة التى ظهرت فى أيام الرسل أنفسهم بأن يسوع إنما هو طيف أو خيال ولايمكن أن يكون حقيقه مجسمة لأن اللاهوت لايتجسم ولا يتألم ...إلخ فأنكروا لذلك إتيان يسوع المسيح فى الجسد وحسبوه أنه ظهر فى العالم كطيف لاكإنسان حقيقى ، وانعكست هذه الفكرة فى القول : « وما صلبوه لكن شُبِّه لهم » الأمر الذى دفع إلى حياكة الخرافات حول من وقع عليه شبهه فصلب مكانه ومنهم من يرجح ترشيح يهوذا الاسخريوطى – الخائن – لكى لا يفقد نصيبه فى الملكوت – أوهام ليس فيها ذرة من الحقيقة !!

• • •

إن إسم « الناصرى » هذا يدحض ما ذهب إليه شهود يهوه المبتدعون من أن المسيح عند ولادته بالجسد أفرغ من كيانه الروحى السابق ، لكى يصير إنساناً مجرداً ، وأنه لما مات مات كأنسان وانتهى أمره بفناء جسده فى القبر وقام روحاً مجرداً – لأن اجرة الخطية فى نظرهم هى الفناء – كما ذهب غيرهم مع الأسف إلى أن دور ابن الانسان الذى يسمونه التوسطى سينتهى عند بدء الأبدية – وهذه تعتبر نتيجه لهرطقه نفى تجسده الحقيقى سالفة الذكر :

ولكننا كما سبق أن حققنا من الإسم الانتسابى « الناصرى » ظهر يسوع المسيح كشخص حقيقى اتحد فيه اللاهوت بالناسوت ، فاننا نعود إلى تأكيد ثبوت أبدية هذا الاتحاد فى ناسوته الممجد وإلا فقدت حقيقة الفداء لمعانها ، وإنتهت علاقتنا به ، وهنا يأخذنا العجب بأن إسم « الناصرى » يدحض هذا كله ويبطله !!

الفصل السابع

« المسيح » الاسم الوظيفى ليسوع

« مريم التى ولد فيها يسوع الذى يُدعى المسيح »(مت ١٦:١)

« وأما شاول فكان يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين فى دمشق محققاً أن هذا هو المسيح » (أع ٢٢:٩)

● ● ●

• إسم يسوع فى العهد القديم :

الشهادة ليسوع هى روح النبوة والكتاب المقدس كله كتاب نبوى شهادة ليسوع المسيح من أوله إلى آخره تستطيع أن ترى فية نبوات عن المسيح فى كل صفحاته :

ومع ذلك فإن اليهود المعاصرون يسألون : إذا كان يسوع هو المسيا الذى تنبأت عنه التوراة فكيف لم يذكر فيها إسمه بحصر اللفظ ، مع أن إسم « المسيح » قد ذكر بحصر اللفظ « المسيا » فى نبوات كثيرة ...

ولكن الأمر العجيب أن إسم « يسوع » موجود فى العهد القديم وقد ذكر حوالى مئة مرة ، فإننا نجده فى كل مره ترد فيها كلمة « خلاص » مع ضمير المتكلم أو المخاطب أو الغائب ... نجده فى هذه الكلمة « يشوع » وهى نفسها « يسوع » ، باللغه العبريه ، وفيما يلى عينات من هذا الورود :

.. **إنه هو الذى قصده يعقوب وهو يحتضر مما جاء فى تكوين ١٨:٤٩ فى قوله : « لخلاصك انتظرت يارب » والكلمات فى العبرانية هى « ليشوعك » أى « ليسوعك أنا منتظر »!**

.. **وفى ختام مزمور ٩١ نجد القول : « من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى » والكلمات الأخيرة فى العبرانية : « وأريه يسوعى »!**

.. **وفى سفر أشعياء نجد كلمة « يسوع » فى الأصل العبرى فى القول : « هوذا الله خلاصى » (٢:١٢) فنجدها : « هوذا الله يسوعى » وأيضا قد صار لى خلاصاً (أى يسوعاً) ويستمر النص إلى القول : « فتستقون مياه بفرح من ينابيع الخلاص » (أى يسوع) وكذلك النص الوارد فى (أش ١١:٦٢) « قولوا لإبنة صهيون هوذا مخلصك آت » فهو هنا « يشوعك أى يسوعك »!**

.. **وفى حبقوق ١٨:٣ « وافرح بإله خلاصى » (أى يسوعى)! ونرى نفس الحقيقة أيضا فى قول سمعان الشيخ لما أخذ يسوع على ذراعيه وقال : « الآن تطلق عبدك بسلام ، لأن عينىّ قد أبصرتا خلاصك » (لو ٣:٢) والكلمات الاخيره حرفيا أبصرتا يسوعك!**

وهكذا استلم الله هذا الإسم الشائع عند العبرانيين وجعل له قيمة غير محدودة ! لقد برز يشوع - خليفة موسى - حاملاً هذا الإسم لاستخدام الله له لإدخال الشعب أرض كنعان وتقسيمها لهم - وهو فى ذلك رمز ليسوع الذى جاء الملاك خصيصاً وأعلن تخصيص هذا الإسم للصبى الذى سيكون مخلّص العالم ! فأعطى هذا الاسم لطفل السر المقدس المولود من غير زرع بشر!

لقد كانت كل أسرة يهودية تتمنى أن يخرج منها هذا المخلّص الموعود ، وأخيراً قد جاء محقق الرجاء بأسمى معانيه ، ليس فى خلاص سياسى من النير الرومانى كما كان ينتظر اليهود بل فى خلاص شامل مبارك من الإثم والخطية والدينونة والهلاك ، فهو وحده الذى يخلص إلى التمام من يتقدمون إليه !

• • •

• « المسيح » الإسم الوظيفى ليسوع :

وهو يعنى « الممسوح » أى الذى قد مُسح فعلاً منذ الأزل لوظائفه الثلاث : « نبى وكاهن وملك » ، وقد ذكر هذا الاسم « المسيح » فى مواضع كثيرة مقترناً باسم « يسوع » ، فوجدناهما معاً فى أغلب الأحيان ، وبعد الصعود تقدم إسم « المسيح » على إسم « يسوع » فاضحى « المسيح يسوع » إذ احتل إسم الوظيفة مكان الصدارة والأولوية تكريماً لعمله فى وظائفه سالفة الذكر ..

وقد ذكر الكتاب المقدس إسم « المسيح » ٧٠٠ مرة مما يدل على رسوخ الاعتقاد بظهوره منذ القدم ، وأن الرجاء بانتظاره لم ينحصر فى اليهود فقط بل كان عاما وعزيزياً ...

ومع أن كلمة « مسيح » أطلقت مجازاً على كل مختار ومنذور فكان الكهنة والأنبياء والملوك يطلق عليهم « مسحاء » وسمى الشعب كله « مسيحاً » بل كورش الفارسى أيضا دُعى كذلك ، إلا أن واحدا فقط هو الذى اتجهت إليه النبوات وخصصت له هذا الإسم « المسيح » بأل التعريف لتحديده من بين هؤلاء جميعاً ... وهو إسم مشتق من المسح والمسحه والمقصود به المسح بالزيت المبارك للتقديس والتكريم ... وبالنسبة للملوك كان مسحهم أول شعائر المبايعة والتتويج !

• • •

هذه المسحة المقدسة المباركة المشتق منها إسم « المسيح » تعنى « الضياء والشفاء » فمنها نور المصابيح فى محاريب الصلاة والتسبيح ، ومنها جبر الكسور كما أنها عنوان السلام والأخاء فلاعجب أن أرجعها اليهود إلى إسم من أقدس الأسماء هو إسم « السيد المسيح » ... الذى سرعان ما انتشر فى أرجاء الدنيا وبدأ المؤمنون به ينتسبون إليه ... إذ أنه إنما تسمى « المسيح » لأنه الممسوح بالروح القدس من الأوزار والآثام ، بل هو الماسح لها أيضا ، فهو شخصية فريدة بريئة طاهرة وذلك بسبب مسحته الخاصة التى بناءً عليها سُمّى « المسيح »!

وطبعاً هنا فى أوسع المعانى انطبق هذا على « يسوع » فكان هو « المسيا » الموعود به ،

الذى أعلن عنه أن له سبعة أرواح الله أى فيضانات مسحة كاملة إذ أن له وحده أعطى الروح بدون كيل وأكثر من جميع رفقائه نسمته غير المتناهية !

• • •

ومع أن أتباعه قد تسموا باسم « مسيحيين » منتسبين به إليه لسبب مسحتهم بالروح القدس – ولكن ليس معنى ذلك كما يزعم – شهود يهوه – أنه كما دعى « يسوع » بالمسيح . بمسحة الروح القدس عند معموديته به . كذلك يصير تلاميذه مسحاء بمسحة الروح القدس عينها . وهذا إمعانا منهم فى إخفاء تميزه عن الآخرين لكن هيهات فهم أن يبلغوا قصدهم الدنىء هذا – لأن يسوع قد حلّ فيه كل ملء اللاهوت جسديا كان فى غير حاجة إلى ملء . لكنه بإرادته جعل نفسه محتاجاً إلى ملء الروح كإنسان ...

ومع ذلك فلا وجه للمقارنة بين حلول الروح فى « المسيح » وحلوله فى « المؤمنين » به . لأن الفارق ليس فقط فى الدرجة لأن ملئه هو بلاكيل ولامتناهى . بل وفى النوع أيضاً – فالحلول الأول إنما هو فى نطاق الاتحاد الذاتى إذ لايسع الأقنوم سوى الأقنوم المماثل له – ولذلك فإننا نحن المؤمنين لانقبل الروح كأقنوم . ولا هو يتحد بنا إتحاداً ذاتياً . وإنما نقبله موهبة والكتاب يسميها هكذا – والله ليس هو الموهبة ولا الموهبة هى الله ! والموهبة تسمى العطية والمسحة أيضاً ولايمكن أن تكون هذه كلها هى ذات الأقنوم . فضلا عن أن ملؤنا نسبى محدود بخلاف ما هو للمسيح الذى كان مسحه بزيت الابتهاج أكثر من شركائه (عبرانيين ١) **الأمر الذى بموجبه انفرد يسوع المسيح بالكمال كانسان فلم يخطىء قط بخلاف المؤمنين فإنهم يخطئون رغم مسحتهم !! وفضلاً عن ذلك فان مسحته هو أزليه استحقاقيه غير مماثلة بخلاف مسحتنا نحن التى جاءتنا فى عرض الزمان منه ، وبها إنتسبنا إليه ...**

• الربط بين يسوع والمسيح :

لم تكن فكرة « المسيا » المنتظر مجرد أسطورة تعلق بها شعب اسرائيل فى العهد القديم بمجرد طلب إنقاذهم من الأعداء وتأسيس ملكوت أرضى لهم تكون أورشليم عاصمته – كما زعم بعض العصريين – لأن المسألة أعمق من ذلك بكثير إذ أن البشر منذ فجر التاريخ ينتظرون قدوم شخصاً إلهياً يكون هو « المخلص الموعود » بالنسبة لهم ، يؤيد ذلك أن هذه الفكرة لايخلو منها تاريخ شعب من الشعوب ولا دين من الأديان القديمة ... ولذلك فقد أجمعت المعتقدات الغابرة عبر التاريخ على انتظار ظهور هذا المخلّص « مبعوث السماء » ، ولم يكن ذلك سوى تمهيد جاء ليعد الناس لقبول الفكرة الأصيلة الحقيقية وهى قدوم « المسيا المنتظر » لانقاذ البشر وتخليصهم من هوة السقوط التى تردوا فيها ... وكان ذلك هو رجاء البشرية بالإجماع !

أما عن « المسحة » فقد كان « المسيح » بسببها « النبى » الذى كان يكشف للبشر حقيقة حالهم كما أنبأ بما سيؤول اليه أمرهم ومصيرهم فى المستقبل القريب والبعيد ، ولكنه كان أيضا روح النبوة إذ أن كل النبوات كانت تدور حوله وتتجه إليه ! أما « يسوع » كالكاهن العظيم بسبب نفس المسحة ، فإننا نجده بذلك الوسيط الذى ليس له بديل والشفيع الكفء الذى لايبارى فى شفاعته !

لكن « المسحة » بعد كل هذا ، إنما تتركز فيه « كالملك » « ملك الكون الفريد » ، وهو الملك على رعاياه الآن فى « ملكوت روحى » الذى تأسس على الفداء فى نطاق كنيسته الحقيقية فهى ملكوته الآن ، نواة ملكوته الحرفى عند نهاية الدهر الحالى ... إن الحلم القديم سوف يتحقق والنبوة لاتمانع فى ذلك أى فى تقديمه كمحرر العالم كله من كل سيادة وسلطان ليكون هو بحسب نطق زكريا النبى « ملك الارض كلها » وأياً تكون التحالفات والتحركات فى وقتنا الحاضر فإنها لن تستطيع أن تقف فى وجه تحقيق ملكوته هذا فى حينه ! إنه هو الذى سيواجه المعركة النهائية المصيرية التى ستقرر مصير السيادة العالمية فى «هرمجدون» ومن بعدها سيبدأ العصر الذهبى للبشرية بتحقيق الملكوت الحرفى لمسيا الملك ! وهذا يعنى بهذا الوصف أنه الملك الوحيد الفريد الذى ليس قبله ولابعده ولا مثله على الاطلاق !

• • •

ولما كان الله – سبحانه – هو « الملك » ولكنه غير منظور ولا يمكن أن يراه أحد فى جوهر وجوده ، ومع ذلك كان لابد أن يكون للخليقة ملكاً منظوراً يحكمها ويسوسها . لذلك أخذ رجاء توقع ظهور الله فى شكل «المسيا» يتحقق.. ليس كمجرد منفذ قوى يعمل كنائب منظور للإله غير المنظور بقدرة عظيمة تظهر فى إدارة ملكوته ، بل كمن ستتم به صورة ملكوت الله فى ثيوقراطيه كاملة – أى حكم إلهى – تخضع له كل الأرض ! وتصبح مملكة واحدة يحكمها الله ، أى يكون فيها ملكاً له سلطانه المتمثل فى « المسيا »

هذا المخلص المنتظر « الذى يدعى فى التوراة « المسيا » أى « المسيح » ، كان اليهود ينتظرونه بسبب المتاعب التى تزايدت عليهم تحت حكم الرومان ، وكانوا أشد تعلقاً بانتظاره فى أيام أغسطس قيصر ، بل كانوا يعتبرون آلامهم التى تعاظمت علامة على تحقيق مجيئه مستندين فى ذلك إلى أقوال الأنبياء القدامى وخاصة دانيال . الكل كانوا يتحدثون عنه متوقعين ظهوره !

ولم يكن اليهود بحاجة للتبشير عليهم للإيمان به عند قدومه ، وإنما ما كانوا بحاجة إليه هو الاقتناع بأن « يسوع » هذا هو نفسه « المسيا » المتنبأ عنه فى التوراة – وقد خصص متى إنجيله لليهود ليقنعهم بأن يسوع هذا إنما هو المسيا بعينه الذى تكلمت عنه نبوات العهد القديم !

وهكذا ظهر « المسيا المنتظر » فى اليهودية تحت إسم « يسوع الناصرى » إتماما لما قيل عنه بالأنبياء بأنه سيدعى ناصريا – وهذه هى التسمية التى دخلت عليها أل التعريف فصار معروفا بسببها « بالناصرى » ، على أن ذلك قد سبقه وسار معه الاعلان عن أن يسوع الناصرى هو نفسه الذى يدعى « المسيا » أى « المسيح » !

• • •

ولذلك فقد انتظر اليهود أن يتحقق فيه رجائهم فآمن به عدد كبير منهم ومن الدخلاء المتدينين ! ومع أن هؤلاء اعتبروا نواة المسيحية بعد انسلاخهم من الأمة اليهودية ورفضها للناصرى الذى كانوا قد آمنوا به ، إلا أنهم كانوا يحتفظون بعلاقتهم بعد باليهودية – حتى أنهم كانوا يعتبرون مجرد فرقة يهودية تميزت بإيمانها بأن « يسوع » هذا هو « المسيا » ، وإزاء تمسكهم

يسوع الناصرى واعتبارهم إياه « المسيا » قام اليهود باضطهادهم **لمخالفتهم فى الدعوة الجديدة لما كان مألوفا فى اليهودية ولقولهم بأن المسيا المنتظر هو يسوع الناصرى بعينه – الذى لما لم يتحقق رجاءهم فيه حسبما انتظروا فانهم ارتدوا عنه بحسب ما ورد برسالة العبرانيين !**

ولقد أطلق اليهود عليهم تسمية « شيعة الناصريين » وجعلوا بولس مقداماً لهذا الشيعه ، وذلك عندما رأوه يبدأ كرازته فى دمشق – التى حيرت اليهود الساكنين فيها – محققاً أن هذا – أى يسوع الناصرى – هو المسيح ! وهكذا كان يفعل إلى أن دفع اليهود الرسالة عنهم ورفضوها من هذا القبيل . فلزم الحال التوجه بها إلى الأمم (أع ١٣ : ٤٦) .

وسرعان ما انتقلت الشهادة من « أورشليم » إلى « أنطاكية » وبينما رفضت اليهودية قبول يسوع الناصرى « كالمسيا » فكان ذلك امرا حاسما . إذ بنا نشاهد كيف **انفتح إدراك مؤمنى الأمم فقبلوا يسوع الناصرى معتبرين إياه « المسيا » أى « المسيح »** بل وانتسبوا إليه من هذا الوجه ودُعوا « مسيحيين » لأول مرة فى التاريخ !! وهكذا نشأ أول انتساب للمسيح فى أنطاكية . وتميز بسمه تلاميذ المسيح من بنى اسرائيل بالناصريين ، بينما صار إتباعه من الأمميين « مسيحيين » !!

• الفصل بين يسوع والمسيح « عثرة اليهودية » :

« من هو الكذاب إلا الذى ينكر أن يسوع هو المسيح » (يو ٢ : ٢٢)

كان لابد لنا من وقفة لنعرف حقيقة من هو يسوع المسيح فى ضوء وموقف اليهودية منه وما تطور اليه أمره فى المسيحية – وهذه أمور ليست بسيطة لكنها فى الواقع من أهم حوادث التاريخ المقدس كله ولذلك فإننا فى حاجة لأن نقف عليها فى شكل واضح محدد :

فانه مما لا شك فيه أن اليهودية هى بداية الاعلان الإلهى والمسيحية هى نهايته أى التى تم بها هذا الاعلان واكتمل ...

ومع أن اليهودية تعاملت – عن طريق الشريعة والناموس والذبائح مع الشكل الظاهرى للإنسان – أى كيانه الجسمى لكنها كانت تتجه عن طريق نبواتها إلى عصر الإصلاح بظهور « المسيا » .

• • •

وواضح مما جاء فى التوراة أنه كان لهذا « المسيا » صورتان يبدو بينهما التناقض : إحداهما كالملك المنتصر والأخرى كالعبد الوضيع المتألم ! كان ذلك عقدة محيّرة بالنسبة لليهود سببت عثرة لهم فى يسوع المسيح ، جعلتهم يرفضونه « كالمسيا » ، لأنهم لم يجدوا فيه « الملك المنتصر » الذى كانوا يفضلونه على الصورة الأخرى « العبد المتألم » . فلما لم يجدوه كما انتظروا . لذلك لم يستطيعوا قبوله « كالمسيا » وكان ذلك هو عثرة اليهودية مما دعا الرسول يوحنا أن يصف من ينكر أن يسوع هو المسيح بالكذاب ... لأن مرجع ذلك روح الضلال – روح ضد المسيح !

• • •

على أن تكذيبهم هذا لم يؤثر على الحقيقة فى شئ وهو ما يشير إليه الرسول بولس فى رومية ٣ : ٧ بقوله : « فإنه إن كان صدق الله قد

زادة لكذبه عنده ... – والكذب المقصود هنا هو إنكار أن يسوع هو المسيح . وقد ازداد نفوراً به بنقض هذا التكذيب وإثبات صدق أن يسوع هو بعينه « المسيح » . فقد ذكرت نبوة دانيال عن المسيح : « إنه سيقطع وليس له » (٩ : ٢٦) أي ليس له الملكوت في الدور الأول من مجيئه ! هذا ما جهله اليهود كلية ولم يتوقعوه بتاتاً ... !

فقد سمعوا يسوع يكرز بالملكوت ويقول : « قد كمل الزمان (أي جاء الميعاد) واقترب ملكوت الله » – ملكوت السموات في متى من باب الاحترام لاسم الله – ومن قبله دعا يوحنا المعمدان الشعب إلى التوبة لقبول هذا الملكوت . هذا وقد مثل المسيح بموعظة على الجبل تعاليمه من هو ملكوت السموات . كما علم في الصلاة الربانية نفس الفكرة بقوله : « ليأت ملكوتك » . وعندما أرسل تلاميذه أوصاهم أن يكرزوا باقتراب الملكوت وأعطاهم – على ما يبدو – أن يصنعوا معجزات تثبت ذلك . وهكذا كانت معظم أقواله تدور حول الملكوت حتى إنه خصص سبعة أمثال في متى ١٣ بالملكوت . ووضح وحدثنا عن نبوة أشعياء أنه تحدث مرة عن حدوث الظهور الإلهي في المسيا في صنع معجزات بالجملة . الأمر الذي تم في يسوع المسيح قد تحقق في كل حين وسوريا وجوارها . ولكن كان يتساءل عنه من يكون ؟ ومن جهة أخرى فإنه حين أعلن يسوع هذا الملكوت كان على حق لأنه هو كانت الإلهي قد جاء وظهر فيما بينهم . حتى أنه وهو يقول لأناس حينه : « ها ملكوت الله داخلكم » إنه قصد بأن الملكوت فيما بينهم موجودة كانت الذي هو بعينه « المسيا المنتظر » !

ولكن كيف حدث تغيير هذا الموقف . ولماذا قام اليهود برفض يسوع الناصرى بعد قبولهم له واعترافهم به كالمسيا !؟ إن هذا التغيير قد حدث لأن اليهود كانوا ينتظرون منه أن يقوم بدور « الانقاذ السياسى » فحسب فانهم انتظروا منه آيات شبيهة بذلك وامتحنوه من جهة الخضوع لقيصر . وتوقعوا أن يروا فيه ما يحقق لهم خلع نير الرومان . فيسلمون حينئذ بأنه « المسيا » فعلاً ولكنه لم يفعل بل إنه رفض محاولتهم اختطافه لجعله ملكاً بعد أن أشبع بطونهم . واختفى عنهم ...

وقد عادوا وتجمعوا حوله فى عيد التجديد . وكان يسوع يتمشى فى الهيكل فى رواق سليمان فاحتاط به اليهود وقالوا له : « إلى متى تعلق أنفسنا . إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهراً . أجابهم يسوع إنى قلت لكم ولستم تؤمنون » (يوحنا ١٠) .

ومن بعد استقباله كملك فى أحد الشعانين بكى على مدينتهم . وأعلن ماسيحل عليهم من دمار ...

أما التغيير الروحي الذى قدمه لهم لإصلاح حالتهم – كتمهيد لإعلان ملكوته – فلم يكن يعنيهم بشىء بل كان من دواعى استغرابهم . ولذلك فقد قاموا سريعاً بتقديمه للمحاكمة واتهامه بأنه قد جعل نفسه بدل قيصر – وقد حقق معه الوالى الرومانى فى ذلك الاتهام فأقر المسيح بأنه قد ولد ملكاً بالفعل . لكنه فند هذه التهمة بقوله : « مملكتى ليست من هذا العالم ... الآن ليست مملكتى من هنا » (يو ١٨:٣٦)

• • •

وهكذا قدم الله الملكوت لليهود متمثلاً فى يسوع كمسيا الملك ليقبلوه أو يرفضوه ، وبذلك قد امتحنهم امتحاناً كافياً فأظهروا رداءتهم برفضه – وعند ذلك توقف عرض الملكوت على اسرائيل وابتدأ يسوع يظهر حقيقة موته لتلاميذه بكلام صريح بعد أن أوصاهم بأن لايقولوا لأحد أنه يسوع المسيح ، وذلك لأن الأمة اليهودية قد فصلت فى إسمه هذا بين يسوع والمسيح . ولم تعد الشهادة لها عن ذلك مجدية البته !

لقد كان بعيداً جداً عن أذهان التلاميذ واليهود أيضاً – الذين كانوا ينتظرون الملكوت بالقوة – أن يروا مثل هذا التحول نحو الصلب والموت ، لكى تبدأ حالة جديدة بعد قيامته ، وهى إعلان « ملكوته الروحى » بالفداء – وكان الأمر موضوع اهتمام الله نفسه لأنه « سر الكنيسة » الذى قام باعلانه لعبده بولس !

وإذ قد تأجل « الملكوت الحرفى » لرفض اليهود له فقد تبلور معنى « المسيا المنتظر » من الفكرة اليهودية الضيقة بانشاء ملكوت الله على الأرض إلى معنى أشمل وأوسع نطاقاً وهو « الخلاص الروحى » الذى به يتم الدخول فى نطاق ملكوت جديد هو « الملكوت الروحى » وهو عنوان « ملكوت السموات » حالياً ...

وبذلك توقف « إنجيل الملكوت » الذى كان لليهود بصفة أساسية ، وحل مكانه « إنجيل النعمة » الذى للأمم والذى نقلنا الى ملكوت ابن محبته !

ولكن ذلك التحول الذى فات الكثيرون إدراكه – لم يكن يعنى أن « الملكوت الحرفى » الكامل والشامل قد إنتهى أمره ، بل على العكس تماماً فقد أعلن أن الطريق إليه هو « الصليب » ، لأن به تم شراء البشرية جمعاء لتدخل فى رحاب ملكوت الله بواسطته ... وهو علامة ابن الانسان التى ستكون إيذاناً بافتتاح الملكوت الحرفى عند بلوغ هذا الدهر نهايته !

ولذلك أعلن السيد المسيح لتلاميذه – قبل الصلب مباشرة – العودة إلى انجيل الملكوت بعد انتهاء دور الملكوت الروحى الحالى الذى يتمثل فى دعوة عروس الملك « المسيا » لتكون شريكة له فى مائدة العيد ! وهذا ما أنبأ به بقوله : « ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شهادة لجميع الأمم . ثم يأتى المنتهى » (مت ٢٤ : ١٤) .

وسيظهر الملكوت إذاً فى نهاية الضيقة العظيمة . عقب معركة هرمجدون مباشرة ، وبينما يحدث فناء لقوى العالم الحربية فى صراعها الأخير على السيادة العالمية عند ظهور مسيا الملك وأجناده من السماء حينئذ تحدث أصوات عظيمة فى السماء – تتردد صداها على الأرض – قائلة قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه !!

الفصـــل الثـامـن

نسل المرأة إبن مريم

« نسل المرأة هو يسحق رأس (الحية) ... » (تك ٣:١٥)

«أليس هذا هو النجار ابن مريم... فكانوا يعثرون به»(مر ٦:٣)

● ● ●

● نسل المرأة أساس الإنتساب لمريم :

منذ أن تلقت العائلة البشرية الأولى من الله سبحانه الوعد « بالمخلّص » عن طريق أبويها الأولين وقد صار لها وللنسل البشرى كله أكبر رجاء فى الوعد المبارك بنسل المرأة الذى سيسحق رأس الحية !

وكان ذلك الوعد بمثابة أول نبوة عن « المخلص الإلهى » وتوالت من بعده الرموز والإشارات كما تعاقبت الصور والتنبوءات ، وكلها سلكت طريقاً واحداً لم تحد عنه قط - وهو تقديم صورة كاملة لهذا « المخلّص المنتظر » ولذلك فقد جاء فى كتاب : « نور من الشرق القديم » ذكر وجود عقيدة « المخلّص المنتظر » لدى سائر الشعوب القديمة وترقب مجيئه ! ونظراً لأن أصل هذه العقيدة وارد فى التوراه ، لذلك فإننا نجدها عند العبرانيين عقيدة ثابتة - لأنه كان معروفاً منذ البداية أن هناك مخلّصاً للبشر سيظهر لينقذهم من الحية عدوة الجنس البشرى وأنه سيولد من امرأة بطريقة متميزة بموجب الوعد الوارد فى تكوين ٣:١٥ عن نسل المرأة الساحق لرأس الحية !

وكان هذا الوعد هو فجر النبوة التى أعلنت بالتتابع عن قصد الله من جهة خلاص البشر بهذا النسل الموعود به الذى يعلن لنا الأنجيل إتمامه فى المسيح كما جاء فى بشارة الملاك للرعاة : « أنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلّص هو المسيح الرب » (لو ٢:١١) - وهذا يعنى أن يسوع هذا هو « نسل المرأة » بعينه « المسيا المنتظر » بحسب نبوات التوراة التى قام الإنجيل بإثبات تحقيقها فيه ... وهو أيضاً الذى كان الفلاسفة بحسب ما لديهم من نور يتوقعون قدومه وكانوا يتساءلون متى يأتى لأننا فى غاية الشوق إليه ...

● ● ●

كان ذلك كله الصدى لمن تحدث عنه موسى ووصفه « نسل المرأة » فى الوعد سالف الذكر ، مع أن النسل عادة لاينسب إلى المرأة بل إلى الرجل - لكن هذه العبارة نسبته إلى المرأة ، وكان سبب ذلك بالطبع ميلاد هذا المخلّص من عذراء بدون رجل !!! أى أنه من المحتم لكى يكون هذا المولود هو « المخلّص » - الموعود به أن يولد من امرأة طاهرة عفيفة « عذراء » -ولذلك فقد أطلق على هذه العذراء « أم المخلّص » ، كما أطلق على المسيح نفسه « ابن مريم » !!

وأما الزعم بوجود مايشابه هذه الحقيقة فى أساطير الشعوب الغابرة – فمع أنه يدل على وحدة الحق وأن ظلاله تمتد لحالة من الشمول – إلا أن ما نستخلصه من العقيدة المسيحية لا وجه لمقارنته بغيره على الإطلاق . لأن هذا الميلاد العذراوى الذى انفرد به المسيح هو الميلاد الوحيد المملوء قداسة وجلالاً . والذى يليق بمن سيسحق الشيطان إذ لابد له من أن يكون حائزاً على قوة خارقة للطبيعة وبالتالى يجب أن يكون شخصاً إلهياً وهذه نتيجة طبيعية لولادته من عذراء أن له طبيعة إلهية حقيقية منذ الأزل !

• ورود إنتساب المسيح إلى مريم فى الإنجيل :

من المعلوم – وكما سبق البيان – أن نسب المسيح إلى « مريم » إنما كان بالنسبة لميلاده العذراوى منها بدون رجل ...

ولكن هناك من يظن بأن افتتاحية إنجيل مرقس بالقول : « بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله » . دون أن يتعرض لميلاده العذراوى إغفال فيه تشكيك فى حقيقة هذا الميلاد – ولكن ليس الأمر هكذا البته . لأن مرقس فى الواقع عاد فأكد هذا الميلاد الفريد بقوله عن المسيح : « أليس هذا النجار ابن مريم ؟ » (٦:٣) فلماذا يصفه هنا هكذا ؟ لاشك أنه إثبات منه لحقيقة هذا الميلاد العذراوى الذى بموجبه نراه يتجنب أى كلام يفهم منه أن المسيح كان إبناً ليوسف مؤكداً انتسابه لمريم وحدها ...

ونفس الموقف نراه بالنسبة للبشير متى فإنه لم يقل فى نهاية سلسلة النسب التى أوردها بأن يوسف ولد يسوع بل قال : « ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح (١٦:١) وحسب رواية لوقا التى اختصت بنسب مريم فى سلسلة داود الملكية نجده يورد الإشارة بأن يوسف لم يكن فى الواقع أباً ليسوع ، بل كان هكذا على ما كان يظن (أى حسبما كان شائعاً) (أص ٢٣:٣) – لأن يسوع كان ينتسب ليوسف حسب الشرع لا على اعتبار أن يوسف أب طبيعى ليسوع بل باعتباره رجل مريم لأن خطبتها له جعلتها فى حكم الزوجة القانونية ، ولكى يكون الحامى القانونى للطفل يسوع !!

• • •

ومن هنا جاء إنتساب يسوع إلى مريم ودعوة مرقس له : « ابن مريم » وذلك لتأكيد إبعاد الزرع البشرى – أى وجود الأب – فى هذا الميلاد العذراوى المعجزى ... والإسلام يقر هذه الحقيقة . ويعلن على أساسها اصطفاء مريم ورفعها على نساء العالمين إلى مرتبة الشرف التى ليس لغيرها من النساء أن تشاركها فيها ، ولذلك يتمسك المسلمون كثيرا بهذا اللقب « ابن مريم » لدرجة يحلو لهم أن يقولوا عنه باستمرار ! « المسيح عيسى ابن مريم » ولقد وردت هذه العبارة عنه المرات العديدة الأمر الذى يستمد أصله من ميلاده المعجزى !

ولا شك أن هذا الميلاد العذراوى – أى ولادة المسيح من عذراء لم تعرف رجلاً – أمر لا غرابة فيه إذ أنه يتمشى مع خط النبوات التى تتحدث عنه . ولذلك فقد سلم به مؤلف كتاب : « المسيح إنسان أم إله » فأقر بأن

المسيح ولدته أمه وهى عذراء ، ولكنه أراد أن يتحلل من هذه الحقيقة بالادعاء عليها بأنها أسطورة ، رغم أنه حتى فى انحيازه لمن يخالفون المسيحية فى جانب من عقائدها ، قد تجاهل أن تسليمهم بالميلاد العذراوى بل وقيامهم بالتمسك المطلق بعبارة أن : « المسيح هو ابن مريم » بسبب ذلك إنما يقفان ضد زعمه هذا سداً منيعاً لأنه يؤكد الحقيقة التى أراد أن يتلاعب بها ويخفى معالمها ....!! .

• • •

• **نبوة أشعياء تؤكد هذا الانتساب :**

تحدثت نبوة أشعياء عن « الميلاد العذراوى » مستخدمة فى اللغة العبرية أداة التعريف « أل » بقولها : « ها العذراء تحبل وتلد » ، مما يدل على شخصية مشهورة واجبة المعرفة وهى التى تحدث عنها موسى فى تكوين ٣ : ١٥ . ونرى فى كلمة « ها » اسم إشارة يشد الانتباه لشىء طبيعته غير عادية ، وقد جاءت فى الانجليزيه « Behold » أى « انظروا » – **فها هى عذراء معينة يتم فيها قصد خاص : إنها الوحيدة التى ليس هناك أماً تماثلها لا من قبل ولا من بعد – إنها هى التى تضمنها أول وعد جاء فى الكتاب المقدس عن إنها الذى ينتسب اليها وحدها فيكون بذلك وحده « نسل المرأة » وكل هذا إنما يجعل المرأه المقصودة هنا هى مريم العذراء ، أما نسلها فلا يمكن أن يكون غير يسوع المسيح ! فهو الذى ولد من هذه العذراء التى ولدته وهى عذراء !** – فى حين أن أى عذراء أخرى تكف عن أن تكون عذراء عندما تحبل بما فى ذلك زوجة النبى أشعياء نفسه ، ومن ثم فلا يمكن أن وصف العذراء ينطبق عليها ...

فهذه النبوة إذاً عن العذراء – الواردة فى أشعياء – تتضمن وصفاً مسهباً لذلك الوعد القديم الذى وعد به الله الجنس البشرى فى سفر التكوين ، والذى يبين منذ البداية أن الخلاص لن يكون إلا عن طريق شخص معين هو « نسل المرأة » الذى سيسحق الشيطان ، الأمر الذى اعتبر أشعياء النبى ولادته العجيبة هذه آية أى معجزة فريدة لم يكن لها مثيل ولن يكون !!

• • •

ولقد كان هذا الحادث التاريخى منذ البداية – كما هو متوقع – موضوع دهشة واستغراب حتى بالنسبة للعذراء نفسها إذ أنه فى حكم المستحيل بالنسبة لقانون التناسل – وادعاءات حدوث الحمل مع بقاء العذراوية وبدون رجل لا وجود لها وغير قابلة للتصديق – **إذ لم يحدث فى التاريخ أن عذراء حبلت وولدت وهى ما زالت عذراء لم يمسسها بشر إلا مريم العذراء** وكان ذلك إتمام للنبوة التى نطق بها أشعياء من قبل بمئات السنين !

• • •

إلا أن اليهود بالطبع قد جهلوها عند حدوثها وسعى مفسروهم فى التخلص منها بمحاولة إيجاد تفرقة بين كلمتى « عذراء » و « بتوله » و « البتوله » تشير إلى من هى عروس وهى غلامة

أو شابة - وهكذا أرادوا إبطال قوة هذه الآية بقراءتها « الصبية أو الفتاة » بدلاً من « العذراء » ، **ولكن حتى هذا التفسير من جانبهم لايحدث تغييراً ما فى المعنى ، لأن كل « صبية أو فتاة » يفترض فيها أن تكون « عذراء » والنبوة هنا تعلن فى غاية الوضوح والتحديد أن هناك عذراء غير متزوجة ستحبل وتلد معجزيا من سيكون « نسل المرأة » المخلّص الإلهى !**

• • •

ومن جهة أخرى ظهرت من بعد المسيحية فكرة تحاول التقليل من شأن هذا « الميلاد المعجزى » رغم الاعتراف به ، وذلك بتشبيه خلق آدم وحوآء كفعل من أفعال القدرة الإلهية - **ولكن خلق أبوى البشر بل والخليقة بأسرها لايتكافىء مع هذا الميلاد الفائق للطبيعة والمماثلة هنا غير منطقية !**

فقد خلق الله آدم من غير أب ولا أم لأنه كان بدء الخليقة البشرية ولم يكن هناك أب ولا أم يولد منهما كما خلق حوآء من آدم - الذى يعتبر أبا لها على سبيل المجاز بلا أم . وصار آدم وحوآء بعد خلقهما يلدان بالتلقيح : وهنا تقدس ناموس التوليد وأصبح ناموساً ثابتاً يسرى على البشر عموماً والحيوانات والطيور ، ولم يخترق هذا الناموس الطبيعى إلا فى ولادة المسيح حيث غيّر الله مجرى الطبيعة - فما الداعى لذلك ؟

ان القول بأن ذلك كان لاستكمال دورة الخلق الأولى بولادة المسيح من أم بلا أب إنما هو زعم مختلق ، لأن الله لايعرف العبث بل يعمل كل شيء بحكمة فائقة لاسيما إذا كان عمله هذا خرق لنواميس وضعها وقدسها وسار عليها نظام العالم وسيسير منذ البداية وإلى النهاية !

• • •

إن الأمر واضح تماماً هنا وهو ركن الطبيعة البشرية التى فسدت ومنعها عن طريق الرجل من توريث الفساد إلى « المسيح » ، بل وتطهير مريم نفسها بحلول الروح القدس عليها لإبعاد ما ورثته هى من فساد باعتبارها بشرية تم الحبل بها وولادتها من أبوين كسائر البشر ، ولكنها قد تطهرت حتى تكون أهلاً لولادة « القدوس » ، « مخلّص العالم » منها - ومن ثم فلا وجه للشبه ولا للربط بين هذا الميلاد المعجزى وخلق آدم وحوآء !! إنه ميلاد فريد يليق بمن هو ابن الله وينفى عنه أنه مجرد بشر جعلناه إلهاً ...

وبما بلغناه إلى هذا الحد الذى احتواه هذا الكتاب نكون قدمنا التعريف الكتابى الواف عمن يكون يسوع المسيح بقدر ما فى طاقة العقل البشرى من استيعاب لاعلان الوحى عنه !

تم إعداده بعون الله فى الحادى عشر من سبتمبر ١٩٩١
ويليه كتاب آخر بعنوان : « لماذا يسوع المسيح هو الأعظم ؟ »

رقم الإيداع : ١٩٩١/٩٧٢١

دار الثقافة المسيحية للطباعة
٢٣ شارع الظاهر - القاهرة
ت: ٩٠٦٧٠٦

هـــذا الكتـــاب

خلال كل تفسيرات الفكر على مدى التاريخ نرى المسيح بصفة مستمرة يتحدى العقل بسؤاله هو عمن يكون وعن كيفية التفكير فيه ... ولقد ظن أصحاب الانتقاد المعارض لشخصية المسيح ومطالبه أنهم حققوا هدفهم بما قالوه وكتبوه عنه مما يصل أحيانا إلى حد الإسفاف والتفاهة ، ولكن الواقع إنهم أسدوا للحقيقة خدمة نادرة بأن دفعوا أهل اليقين إلى بحث جوانب حياة المسيح واستجلاء ما غُمض منها لإلقاء مزيد من الضوء على هذه الشخصية النادرة التى لا ولن يكون لها مثيل ...

ولا شك أن إعلان الحق الإلهى واجب على كل من يصله أن يكون راسخاً فى معرفته قادراً على إيضاح ما بلغه منه ولديه براهين الاقتناع به لمناقشة ما يثار عليه من اعتراضات . ومع أننا قدمنا من قبل كتابينا « المسيح كلمة الله » فى يناير ٨٩ و « حقيقة المسيح » فى يناير ٩٠ ، إلا أنهما لم يكونا سوى التمهيد لهذا الكتاب الذى نقدمه للكافة استكمالا للفائدة تحت عنوان يسوع المسيح - وهو ينقسم إلى قسمين الأول منهما موضوعه : « يسوع فى عالم الملائكة » ويحتوى على أربعة فصول وهى بالتتابع :

« الملاك الذى دعى ملاك الرب - الملاك حامل اسم الله - ملاك حضرته ملاك العهد - رئيس جند الرب »

وأما القسم الثانى وموضوعه : « يسوع فى عالم البشر » وهو يحتوى على أربعة فصول أخرى هى على التوالى :

« تعريف بمعنى اسم يسوع » - « الناصرى » الاسم الانتسابى ليسوع - « المسيح » الاسم الوظيفى ليسوع - نسل المرأة « ابن مريم » - نستودعه بين يدى كل باحث عن الحقيقه طالب لمعرفتها - لأجل يقين الهداية وسلامة المصير !!

المـــؤلـــف

3.00000
الثمــ
££ 3.00